مع الرسول صلى الله عليه وسلم

في سكرات الموت

دكتور / أبو سريع محمد عبد الهادي

دار الاعتصام

دكتور / أبو سريع محمد عبد الهادي

مع الرسول صلى الله عليه وسلم في سكرات الموت

دار الاعتصام



دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع
٨ شارع حسين حجازى ـ القاهرة
هاتف : ٧٩٥١٧٤٨ - ٧٩٤٤٧٤٨ - فاكس : ٧٩٤٦٠٣١
ص . ب : ٤٧٠ القاهرة - الرمز البريدى : ١١٥١١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . . . أما بعد :

فإننا اليوم فى عصر غلبت فيه المادية على كل الروحانيات ، وأصبح الناس اليوم فى لهو ، ولا يفكرون فى اليوم الآخر ، ولا فى سؤال القبر وفتنته وشدة سكرات الموت ، ولو عرفها الناس لما ركنوا إلى هذه الماديات بهذه الصورة .

والإسلام لا يؤمن بالروحانيات فقط ، ولا بالماديات وحدها ، وإنما هو يجمع بين الدين والدنيا ، وذلك للأثر القائل : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

والإسلام يذكر الناس بالموت وشدة سكرته ، حتى لا تكسرهم الحياة فينسوا خالقهم ومدبر أمرهم ، فإذا عمل المسلم عملاً دنيويًا وفكر فى عمل سيىء كالغش والتطفيف أو الإخسار فى الكيل والميزان ، فإنه إذا تذكر عظمة الله وأنه مراقبه فى سره وعلانيته ، وأن هناك آخرة ، وقَبْلها الموت وسكراته فيرتدع غالبًا عن ارتكاب هذا المحرم .

لذا قمنا بعمل هذا الكتاب لينتفع به كل مسلم وليتذكر أولو الألباب وليعلم الجميع أن هناك يومًا للحساب ، يجزى فيه كل إنسان بما عمل .

فاللهم يا مصلح الصالحين ، أصلح فساد قلوبنا ، واستُر فى الدنيا والآخرة عيوبنا ، واغفر بعفوك ورحمتك ذنوبنا ، وارحم فى موقف العرض عليك ذل مقامنا .

وأطلب من كل قارئ الدعاء بأن يجمعنا اللّه دائمًا على الخير فى الدنيا والآخرة ، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

نسأل الله تعالى الثبات ، حتى يدخلنا ربنا برحمته جنة عرضها السموات والأرض ، وأن ينجينا من النار وعذابها ،وأن يثبتنا عند السؤال ، وأن يرفق بنا فى سكرات الموت ، ويهونها علينا .

المؤلف

الصبر عند المرض

إن المرض يكفر السيئات ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : **« ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كَفَّرَ اللَّه بها خطاياه »** (متفق عليه) .

وعن ابن مسعود قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك ، فقلت : يا رسول الله إنك توعك وعكًا شديدًا ، قال : **« أجل ، إنى أوعك كما يوعك**[1] **رجلان منكم »** قلت : إن لك أجرين ؟ قال : **« أجل ذلك كذلك ، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كَفَّرَ اللَّه بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها »** (رواه البخارى) .

لكن على المريض أن يصبر على ما ينزل به من أذى لما روى عن صهيب بن سنان أن النبى ﷺ قال : **« عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير - وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن - إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له »** (رواه مسلم) .

ويجوز للمريض أن يشكو للطبيب والصديق مما يصيبه من المرض على أن لا يكون ساخطًا ولا مظهرًا جزعًا ، فقد شكت عائشة رضى الله عنها للرسول ﷺ فقالت : وارأساه ، فقال : **بل أنا وارأساه** .

على أن يحمد المريض ربه قبل أن يذكر ما به من الألم . قال ابن مسعود : إذا كان الشكر قبل الشكوى فليس بشاك .

ومن أدب الإسلام أن يزور المسلم أخاه المريض تطييبًا لخاطره ، فقد روى أن النبى ﷺ قال : **« أطعموا الطعام وعودوا المريض وفكوا**

---

(١) **الوعك** : من وعكه المرض وعكا فهو موعوك : أى اشتد عليه المرض أو الحمى .

العانى »[1] (رواه البخارى عن أبى موسى) .

وفضائل هذه الزيارة كثيرة ، منها ما روى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **من عاد مريضًا نادى مناد من السماء طبت ، وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا** » (رواه ابن ماجه) .

ويستحب أن يدعو الزائر للمريض بالشفاء ويوصيه بالصبر والتحمل لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « **إذا دخلتم على المريض فنفسوا**[2] **له فى الأجل ، فإن ذلك لا يرد شيئًا ، وهو يطيب نفس المريض** » .

ويستحب تخفيف الزيارة حتى لا يثقل على المريض فى تطويلها ، وتجوز زيارة الكافر لما روى عن أنس رضي الله عنه أن غلامًا ليهود كان يخدم النبى ﷺ فلما مرض أتاه الرسول ليزوره ، فقال : أسلم فأسلم .

ويستحب طلب الدعاء من المريض للزائر ، لما روى عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا دخلت على مريض فمره فليدع لك فإن دعاءه كدعاء الملائكة** »[3] ، وعلى المريض أن يلجأ إلى الطبيب لمداواته ، لما روى أن النبى ﷺ قال : « **إن اللّه لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء . . فتداووا** » (رواه النسائى وغيره) .

والتداوى بالحرام حرّمه بعض الفقهاء مطلقًا بينما أجازه آخرون عند الضرورة وهو الراجح إذا لم يوجد دواء حلال يقوم مكانه ، لأن الرسول ﷺ أذن لعبد الرحمن بن عوف أن يلبس الحرير حين أصابته حكة « وهى مرض جلدى » ، وأذن للعرنيين أن يشربوا أبوال الإبل وهى نجسة عند كثير من الفقهاء[4] .

---

(١) **العانى** : الأسير .
(٢) **فنفسوا له** : أى جعلوه يطمع فى طول الأجل .
(٣) أى أن الاستجابة قريبة .
(٤) فصلنا ذلك فى كتابنا : الأطعمة والذبائح .

ويجوز التطبيب عند طبيب غير مسلم إذا كان أمينًا ثقة حاذقًا فى الطب ، ويجوز للطبيب الرجل أن يداوى المرأة إذا لم توجد طبيبة أو وجدت ولكنها ليست فى مستوى كفاءة الرجل .

وله أن ينظر إلى محل العلاج ولو فى العورة المغلظة إذا كان المرض بها وكذلك الحال بالنسبة للمريض مع الطبيبة فيجوز له التداوى عندها للضرورة إذا لم يوجد طبيب أو وجد وليس على المستوى المطلوب فى الحذق وهكذا .

ويجوز العلاج بالرقية – وهى الأدعية التى يدعو بها المريض أو يدعو غيره له بها – ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم عندما كان يعوّذ بعض أهله : « **اللهم رب الناس أذهب البأس ، اشف وأنت الشافى ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما** » وكان يمسح بيده اليمنى مكان المرض ، وكان النبى ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول : « **أعيذكما بكلمات اللّه التامة من كل شيطان وهامَّة ، ومن كل عين لامّة** »[1] ، ويقول : « **إن أباكما**[2] **كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق** » (رواه البخارى) .

وروى أن عثمان بن أبى العاص شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده فى جسده ، فقال له الرسول ﷺ : ضع يدك على الذى يؤلمك من جسدك وقل : « **بسم اللّه** » (سبع مرات) ، وقل : « **أعوذ بعزة اللّه وقدرته من شر ما أجد وأحاذر** » قال : ففعلت ذلك مرارًا فأذهب الله ما كان بى ، فلم أزل آمر به أهلى وغيرهم (رواه مسلم) .

وغير ذلك من الأدعية المأثورة ونحوها ، ويستحب أن يلجأ المريض إلى الطبيب أولاً ، ثم يلجأ إلى الأدعية معه أو بعده ، أو فى

---

(١) **الهامة** : كل ذات سم قاتل ، واللامة : التى تصيب بسوء .

(٢) يقصد إبراهيم عليه السلام .

الأمراض النفسية والعلاجات الروحية[1] .

ويحرم العلاج بالتمائم والأحجبة ونحوها لحديث « **من علق تميمة فلا أتم اللَّه له ، ومن علق ودعة فلا أودع اللَّه له** » (رواه أحمد وغيره) .

وأجاز الكثير تعليق الأدعية الواردة فى الكتاب والسنة ، ومنعها البعض ، ولعله الأرجح حتى لا يؤدى إلى تعليق التمائم مطلقًا .

ومن أصيب بمرض معد ، لا يجاور الأصحاء حتى لا يصابوا بنفس المرض كالطاعون والإيدز ونحوهما ، لأن الرسول ﷺ قال : « **لا يوردنْ مُمْرض على مصح** » وروى أن رجلًا قَدِم المدينة لمبايعة الرسول وكان مجذومًا ، فأرسل إليه بالبيعة ولم يأذه له فى الدخول للمدينة ، وذلك حتى لا ينتشر المرض ، وهذا ما يسمى بالحجر الصحى[2] ، ولحديث « إذا وجد الطاعون بأرض وأنتم خارجها فلا تدخلوها ، وإن كنتم فيها فلا تخرجوا منها » ، وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هرب من الطاعون الذى كان بالشام فقال له أبو عبيدة : أفرارًا من قدر الله ؟ فقال له عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة . . نفر من قدر الله إلى قدر الله . ولما روى عبد الرحمن بن عوف الحديث السابق - الذى لم يكن يعلم به هو ولا أبو عبيدة - حمد عمر الله تعالى .

ويستحب دائمًا للمريض وغيره أن يكثر من ذكر الموت والاستعداد له بالعمل الصالح ، لما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **أكثروا من ذكر هاذم[3] اللذات** » (رواه الطبرانى) ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فى قول الله تعالى : ﴿ **فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ** ﴾ (الأنعام : ١٢٥) قال : « **إذا**

---

(١) انظر كتابنا : لا يرد القضاء إلا الدعاء .

(٢) انظر كتابنا : التداوى وطرق العلاج فى الفقه الإسلامى .

(٣) **هاذم** : قاطع ، والمراد به الموت ، وقيل : ملك الموت .

دخل النور القلب انفسح وانشرح . قالوا : هل لذلك من علامة يعرف بها ؟ قال : الإنابة إلى دار الخلود ، والتنحِّي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت » (رواه ابن جرير) وله طرق مرسلة يشد بعضها بعضا »[1] .

* * *

(١) فقه السنة (١/٤٢٠) .

النهى عن تمنى الموت

من الأمور المفضلة طول العمر مع حسن العمل ، لما روى عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه أن رجلاً قال : يا رسول الله : أى الناس خير ؟ قال : « **من طال عمره وحسن عمله** » قال : فأى الناس شر ؟ قال : « **من طال عمره وساء عمله** » (رواه أحمد والترمذى) .

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « **ألا أنبئكم بخيركم ؟** قالوا : نعم يا رسول الله قال : **خيركم أطولكم أعمارًا وأحسنكم أعمالاً** » (رواه أحمد وغيره) .

ولا شك أن العمل الصالح قبل الموت دليل على حسن الختام لحديث : « **إنما الأعمال بالخواتيم** » ولما روى عن أنس أن النبى ﷺ قال : « **إذا أراد اللّه بعبد خيرًا استعمله** ، قالوا : كيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال : **يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه** » (رواه أحمد والحاكم وغيرهما)

ويسن أن يذكر المريض سعة رحمة الله ويحسن الظن به سبحانه ، كما روى عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث - ليال - « **لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن باللّه** » (رواه مسلم) ، وعن أنس أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى حالة الموت فقال الرسول : « **كيف تجدك ؟** » قال : أرجو الله وأخاف ذنوبى ، فقال صلى الله عليه وسلم : « **لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه اللّه ما يرجوه وأمّنه مما يخاف** » (رواه ابن ماجه والترمذى) .

وفى الحديثين دلالة على استحباب تغليب الرجاء والأمل فى العفو والمغفرة ليلقى الله تعالى فى أحسن حال ، لأنه تعالى الرحمن الرحيم ،

الجواد الكريم ، العفو الغفور لحديث « **يبعث كل أحد على ما مات عليه** » ، كما يسن أيضًا أن يحضر الصالحون عند من أشرف على الموت وأن يكثروا من ذكر الله سبحانه ، لما روى عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ « **إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرًا فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون** » قالت : فلما مات أبو سلمة أتيت النبى ﷺ فقلت : يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات ، قال : قولى : « **اللهم اغفر لى وله ، وأعقبنى منه عقبى حسنة** » قالت : فأعقبنى الله من هو خير منه محمدًا ﷺ » (رواه أصحاب السنن) .

وعن أم سلمة أيضًا قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ، ثم قال : « **إن الروح إذا قبض تبعه البصر** » فضجّ ناس من أهله فقال : « **لا تدعو على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون** »، ثم قال : « **اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين وأخلفه فى عقبه الغابرين** [١] ، **واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له فى قبره ، ونوِّر له فيه** » (رواه مسلم) .

هذا ولا يطلب المسلم الموت ، ولا يتمناه ولا يدعو به لفقر أو حاجة أو محنة أو شدة أو نحو ذلك لما روى عن أنس أن النبى ﷺ قال : « **لا يتمنيَنَّ أحدُكم الموت لضرٍّ نزل به ، فإن كان لابد متمنِّيا للموت فليلقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرًا لى** » (رواه الجماعة) .

وفى رواية عند البخارى قال : « **لا يتمنين أحدكم الموت إما محسنًا فلعله يزداد خيرًا ، وإمامسيئًا فلعله أن يستعتب** » [٢] .

---

(١) **الغابرين** : الباقين أى كن خليفة له فى إصلاح من يعقبه من ذريته حال كونهم فى الباقين من الناس .

(٢) أى يرضى الله بالإقلاع عن السيئات والاستغفار منها ، والاستعتاب : طلب زوال العذاب ، وانظر فقه السنة (٤١٩/١) .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « **لا تمنّوا الموت فإن هول المطلع شديد ، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه اللّه الإنابة** » (رواه البزار) .

وحكمة النهى عن تمنى الموت ما روى عن أم الفضل أن النبى ﷺ دخل على العباس وهو يشتكى فتمنىٰ الموت فقال : « **يا عباس يا عم رسول اللّه لا تتمنَّ الموت ، إن كنت محسنًا تزداد إحسانًا إلى إحسانك خير لك ، وإن كنت مسيئًا فإن تُؤخَّر تستعتب خير لك ، فلا تمنّ الموت** » (رواه أحمد والحاكم) .

هذا وقد قال العلماء : إن الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف ، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالجسد ومفارقته وحيلولة بينهما ، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار ، وهو من أعظم المصائب ، وقد سماه الله تعالى مصيبة فى قوله : ﴿ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ ﴾ [1] فالموت هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى ، وأعظم منه الغفلة عنه ، والإعراض عن ذكره ، وقلة التفكر فيه ، وترك العمل له وإن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر ، وفكرة لمن تفكر .

وفى الحديث يقول الرسول ﷺ : « **لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا** » وذلك لشدة الموت ، وشدة سكراته التى ينساها الناس فى ظل مشاكل الحياة .

ويروى أن أعرابيًا كان يسير على جمل فخرّ الجمل ميتًا ، فنزل الأعرابى عنه وجعل يطوف به ويتفكر فيه ويقول : مالك لا تقوم ؟ مالك لا تنبعث ؟ هذه أعضاؤك كاملة ، وجوارحك سالمة ، ما شأنك ؟ ما الذى كان يحملك ؟ ما الذى كان يبعثك ؟ من الذى

---

(١) سورة المائدة : ١٠٦ .

صرعك ؟ ما الذى عن الحركة منعك ؟ ثم تركه وانصرف متفكرًا فى شأنه متعجبًا من أمره ا هـ .

وروى عن سهل بن عبد الله التسترى أنه قال : لا يتمنى أحد الموت إلا ثلاثة : رجل جاهل بما بعد الموت ، أو رجل يفر من أقدار الله تعالى عليه ، أو مشتاق محب للقاء الله عز وجل .

لكن إذا خاف المسلم أن يفتن فى دينه فإنه يجوز له أن يتمنى الموت دون كراهة ، لما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال فى بعض أدعيته : « **اللهم إنى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات وحب المساكين ، وأن تغفر لى وترحمنى ، وإذا أردت فتنة فى قومى فتوفنى غير مفتون ، وأسألك حبّك وحبّ من يحبك ، وحب عمل يقرب إلى حبك** »
(رواه الترمذى)

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال فى دعائه : « اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى ، وانتشرت رعيتى فاقبضنى إليك غير مضيّع ولا مفرّط » .
(رواه مالك)

وقد تمنى يوسف ومريم عليهما السلام الموت ، يقول الله تعالى خبرًا عن يوسف : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [1] وعن مريم ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [2] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل على قبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه** » (رواه مالك).

وتمنى يوسف الموت لما تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل ، لذا اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل ، وقيل : إنه لم يتمن الموت ، وإنما تمنى

---

(١) سورة يوسف : ١٠١ .
(٢) سورة مريم : ٢٣ .

الموافاة على الإسلام ، أى إذا جاء أجلى توفنى مسلمًا ، وهذا هو القول المختار فى الآية ، وأما مريم عليها السلام فإنها تمنت الموت لسببين : **أحدهما** : أنها خافت أن يُظن بها السوء فى دينها وتعيّر فيفتنها ذلك ، **الثانى** : لئلا يقع قوم بسببها فى البهتان والزور والنسبة إلى الفحشاء ، وذلك مهلك لهم ، فتمنى الموت جائز عند خوف الفتنة ، أو لكثرة الظلم فى الأرض .

* * *

سكرات الموت للرسول ﷺ

تكلمنا عن الموت والنهى عن تمنيه إلا عند خوف الفتنة ، ومعروف أن الموت له سكرات ولنذكر ما حدث للرسول ﷺ .

روى أنه عليه الصلاة والسلام وقع له حدث جعل الصحابة أشد خوفًا ، فقد أرق - أصابه الأرق وعدم النوم - فى ليلة من الليالى وبدأ يشكو وطال أرقه ، فخرج إلى البقيع حيث مقابر المسلمين ، فلما وقف بين المقابر قال يخاطب أهل المقابر : « **السلام عليكم يا أهل المقابر ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شرٌ من الأولى** » وكان معه صحابى يسمى : أبو مويهبة فقال : إن النبى ﷺ قال له أول ما بلغا - هو والرسول - بقيع الغَرْقَد : « **إنى أُمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معى** » فلما استغفر لهم وآن له أن يئوب أقبل عليه وقال له : « **يا أبا مويهبة إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلود فيها ثم الجنة ، فَخُيِّرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة** » فقال أبو مويهبة : بأبى أنت وأمى يا رسول اللّه فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، فقال له الرسول : « **لا ، واللّه لقد اخترت لقاء ربى والجنة** » .

ثم تحدث أبو مويهبة بما رأى وما سمع ، لأن النبى ﷺ بدأ يشكو المرض غداة تلك الليلة التى زار فيها البقيع ، فاشتد خوف الناس ، وقد أخذ بعض المؤرخين يشكّون فى هذا القول الذى يرويه أبو مويهبة ، إلا أننا نقول : أيًا ما كان الحال فإننا لا نرى مسوغًا لإنكار هذا الحادث من أساسه ، إلا أنه يبين دقة إدراك الرسول

لاقتراب ساعته ، ساعة الدنو من جوار الله ، وهو الذى قال : « **الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة** » ، وذلك لأنه ﷺ مكث ستة أشهر فى بداية الدعوة يأتيه الوحى منامًا، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح - أى كما رآها - ومعروف أنه مكث ثلاثة وعشرين عامًا فى الرسالة ، وهى تعادل ستة وأربعين جزءًا بالنسبة لزمن الرؤيا الصالحة التى كان يراها ﷺ ، يضاف إلى ذلك أنه القائل : « **إن عبدًا خيره الله بين زهرة الدنيا وما عند الله فاختار ما عند الله** » فلم يعرف الصحابة مراده ﷺ إلا أن بأبا بكر رضي الله عنه - وكان أدرى الناس بأحوال الرسول وأقواله - عرف أن العبد المقصود الذى اختار ما عند الله هو الرسول نفسه فبكى ، وفعلاً انتقل الرسول ﷺ بعد هذا القول بزمن يسير .

ولما نزل عليه قول الله تعالى فى حجة الوداع بعرفة : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (1) فرح المسلمون لإكمال الدين ، وأن الأحكام الشرعية من حلال وحرام قد اتضحت ، فلن يكون هناك تحليل ولا تحريم بعد ذلك ، إلا أن أبا بكر رضي الله عنه بكى وقال : ما بعد الكمال إلا النقص ، وعرف أن الرسول ﷺ مقبوض قريبًا ، وفعلاً انتقل الرسول ﷺ بعد نزول هذه الآية بواحد وثمانين يومًا ، وليست هذه آخر آية نزلت فى القرآن الكريم مطلقًا ، وإنما آخر آية نزلت مطلقًا قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (2) أما الآية : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ إلخ فهى آخر ما نزل من الأحكام الشرعية ، فلم ينزل بعدها تحليل ولا تحريم - كما ذكرنا - وهذا كله يبين

---

(1) سورة المائدة : ٣ .

(2) سورة البقرة : ٢٨١ .

أن الرسول ﷺ كان يعرف دنوّ أجله ، ويؤكد صحة ما روى عن أبى مويهبة .

وهو أفضل المخلوقات من ملك وإنس وجان من لدن آدم إلى قيام الساعة ، ومع هذا كان يخشى سكرات الموت كما سنبين .

وفى غداة حديث أبى مويهبة فى زيارة الموتى بالبقيع مرّ بعائشة فوجدها تشكو صداعًا فى رأسها وتقول : وارأساه ، فقال لها وقد بدأ يحس بألم المرض : **بل أنا والله يا عائشة : وارأساه .**

وكررت عائشة الشكوى من صداعها حين سمعته يشكو ، فقال لها : وما ضرّك لو مُتِّ قبلى فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك ، وذلك على سبيل الدعابة مع عائشة إلا أن هذه الدعابة أثارت غيرة الأنوثة فى نفس عائشة الشابة وأثارت أيضًا عندها حب الحياة والحرص عليها فقالت : ليكن ذلك حظ غيرى ، والله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتى فأعرست فيه ببعض نسائك اهـ .

وتبسم الرسول ﷺ ولكن لم يمكنه المرض من متابعة الدعابة ، فلما سكن عنه الألم بعض الشيء قام يطوف على نسائه ، لكنه وجد نفسه فى حاجة إلى التمريض ، فدعا نساءه إلى بيت ميمونة واستأذنهن بعد أن رأين حاله أن يُمرَّضَ فى بيت عائشة ، وأذن له أزواجه فى الانتقال فخرج عاصبًا رأسه يعتمد فى مسيرته على علىّ بن أبى طالب وعلى عمه العباس رضى الله عنهما ، وقدماه لا تكادان تحملانه حتى دخل بيت عائشة لأنه كان يعدل بين نسائه فى كل شيء ، حتى عند المرض ، لكن لما اشتد عليه المرض على نحو ما ذكرنا انتقل إلى بيت عائشة ، لأنها أقدر على خدمته من غيرها ، لأنها أصغر نسائه ، وهى

الشابة بينهن ، وكان عند اشتداد الحمى قد خرج إلى المسجد ليصلى بالناس حتى إذا اشتد عليه المرض أمر أبا بكر أن يصلى بهم ، وكان قد صعد المنبر وقال : « **إن عبدًا من عباد اللّه خيره اللّه بين زهرة الحياة الدنيا وما عند اللّه فاختار ما عند اللّه** » .

وفهم أبو بكر أن الرسول ﷺ هو المقصود ، لأنه كان أدرى الناس بأقوال الرسول ﷺ لذا قال عنه : « **إنى لو كنت متخذًا خليلاً من العباد لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع اللّه بيننا عنده** » ثم التفت إلى الناس وقال : « **يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيرًا فإن الناس يزيدون ، والأنصار على هيئتها لا تزيد ، فأحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم** » .

وحينما ازدادت الحمى به صلى الله عليه وسلم كانت ابنته فاطمة تزوره كل يوم ، وكان يحبها حبًا جمًا حُبَّ رجل لابنته الوحيدة الباقية له من كل أولاده الذكور والإناث ، لذا كانت إذا دخلت عليه قام إليها وقبّلها وأجلسها إلى جانبه وقد أسر إليها حديثًا حين بلغ منه المرض مبلغًا كبيرًا فبكت ، ثم أسر إليها بحديث آخر فضحكت ، فسألتها عائشة رضى الله عنها فى ذلك ، فقالت : ما كنت لأفشى حديثًا لرسول الله ﷺ فلما مات ذكرت أنه أسرّ إليها أن سيقبض فى مرضه هذا فبكت ، فأسر إليها أنها أول أهله يلحقه فضحكت .

هذا وكانت الحمى تشتد عليه حتى تصل به إلى أن يغشى عليه [١] أحيانًا ثم يفيق ، وهو يعانى منها أشد الكرب ، حتى قالت فاطمة رضى الله عنها يومًا وقد حزّ الألم فى نفسها لشدة ألم أبيها : واكرب أبتاه ! فقال صلى الله عليه وسلم : « **لا كرب على أبيك بعد اليوم** »

---

(١) يغمى عليه ، وهذا يبين شدة سكرات الموت معه ﷺ .

يريد أنه سينتقل من هذا العالم ، عالم الأسى والألم ، إلى عالم الخلود والبقاء والنعيم المقيم فى الجنة .

وقد حاول أصحابه يومًا تهوين الألم على نفسه فذكروا له نصائحه ألا يشكو المريض من مرضه - فأجابهم : إن ما به أكثر مما يكون مثل هذا الحال برجلين منهم : أى إنه يتحمل أكثر مما يتحمله رجلان من أشد الناس وأقواهم ، وظل هكذا فى شدة المرض حتى دخل أسامة ابن زيد عليه فى بيت عائشة فإذا هو قد أصمت - اعتقل لسانه فلم ينطق - فلما بصر بأسامة جعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة علامة الدعاء له بالنصر والرضا عنه .

وهذا يبين أن الكثير يعقل لسانهم قبل الموت ، لأن هذا حدث للرسول ﷺ ولم يحدث لهم فقط ، بمعنى أن الرسول عانى كثيرًا فى مرضه مثل غيره من الناس ، حتى يتعظ الناس بالموت وسكراته التى منها عقل اللسان وصمته لعدم القدرة على الكلام ، وهذا يؤكد بشريته رغم أنه أفضل المخلوقات ، وإن كان الله تعالى ييسر له كل صعب ، وينقذه من كل مصيبة ثم يحدث له ذلك قبيل موته ، فما بالنا ببقية الناس ؟

وعندما اشتد عليه المرض كان لديه سبعة دنانير ، وخاف أن تظل لديه بعد موته ، فأمر أهله أن يتصدقوا بها ، لكن اشتغالهم بتمريضه أنساهم تنفيذ أمره ، فلما أفاق يوم الأحد الذى سبق وفاته من إغمائه سألهم عنها ، فأجابت عائشة : إنها ما تزال عندها ، فطلب أن تحضرها ، ووضعها فى كفه ثم قال : « **ما ظن محمد بربه لو لقى الله وعنده هذه؟** » ثم تصدق بها جميعًا على فقراء المسلمين .

وقضى رسول الله ﷺ ليلة هادئًا مطمئنًا حيث نزلت عنه الحمى

واستطاع الخروج إلى المسجد عاصبًا رأسه معتمدًا على علىّ والفضل ابن العباس ، وكان أبو بكر ساعتئذ يصلى بالناس فلما رآه المسلمون وهم فى صلاتهم قد خرج إليهم كادوا يفتنون فرحًا به ، فأشار إليهم أن يثبتوا فى صلاتهم ، وأحس أبو بكر بما صنع الناس فنكص عن مصلاه حتى يتخلى للرسول ﷺ عن مكانه ليؤم هو الناس ، فدفعه الرسول ﷺ فى ظهره وقال له : صل بالناس وجلس هو إلى جنب أبى بكر فصلى عن يمينه قاعدًا ، فلما انتهى من الصلاة أقبل على الناس رافعًا صوته حتى سمعه من كان خارج المسجد، فقال صلى الله عليه وسلم : « **أيها الناس سعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، وإنى والله ما تَمسَّكون علىّ بشىء ، إنى والله لم أُحِلّ إلا ما أحل القرآن ، ولا أُحرِّم إلا ما حرم القرآن ، لعن الله قومًا اتخذوا قبورهم مساجد** » وهذا يبين أن الرسول ﷺ مات ولم يترك دينارًا ولا درهمًا بل إن درعه كانت مرهونة عند يهودى فى طعام لأهله ، وقام علىّ رضي الله عنه بافتكاك هذا الرهن ، وأنه نهى عن اتخاذ القبور مساجد ، حتى لا يعظمهم قومهم كغيرهم .

وكان لا يحب الديْن حتى رفض أن يكون مدينًا ، فارتهن درعه كما ذكرنا ، ولم يصلّ على أحد عليه ديْن ، ويأمر أصحابه بأن يصلوا عليه ، فإذا لم يستطع أحد أن يسدد دينه كان يقوم صلى الله عليه وسلم بسداد الديْن من بيت المال ، قال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [1] وكان يخشى الله ويخافه رغم أفضليتهِ على جميع المخلوقات ، وأنه أمر أهله بأن يعملوا ومنهم فاطمة أحب الناس إليه لأنها الوحيدة التى بقيت من أولاده حيث قال لها : « **اعملى فلا أغنى عنك من الله شيئًا** » وقال أيضًا فى تنفيذ حدود الله وحرصه على

---

(١) سورة الأحزاب : ٦ .

إقامتها حيث قال : « **والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها** » قال لأحب وأعز الناس إليه ، إنها لو فعلت شيئًا يستحق الحد لأقامه عليها رغم أنها فلذة كبده وأول حبه ، فلا يخشى فى الله لومة لائم ، وهو العادل الذى علم الناس العدل ، وكل هذا لخوفه من الله سبحانه حتى لا يجد الصعوبات فى سكرات الموت، فإذا كان الرسول ﷺ كذلك فما بالنا ببقية الناس وعامتهم ؟ أليسوا أجدر باتباع أحكام القرآن والسنة حتى لا يسألوا عن إهمالهم أو إساءاتهم !؟ ألا يأخذ الناس العبرة منه صلى الله عليه وسلم ؟ وليذكر أولو الألباب .

وقد عظم فرح المسلمين حينما رأوامظاهر التقدم فى صحة النبى ﷺ حتى انصرف عمر وعلىّ لشئونهما وتفرق المسلمون وهم فى سعادة واستبشار بعد أن كانوا بالأمِس مغمومين عابسين مهمومين لمرض الرسول واشتداد الحمى عليه وإغمائه .

وعاد هو إلى عائشة وهو مسرور لرؤيته لهؤلاء المسلمين الذين امتلأ المسجد بهم لشدة حبهم له وفرحهم بوصوله إليهم فى المسجد ، وإن كان يحس بأن جسمه غاية فى الضعف ، وعائشة تنظر إلى هذا الرجل الذى يمتلئ قلبها إجلالاً له وتقديرًا لشأنه ، وقد ملكها الإشفاق عليه لضعفه ومرضه ، فهى تتمنى لو أنها تبذل نفسها له لترد إليه القوة والحياة ، ولكن هذا قدر الله تعالى له ، لأن خروجه صلى الله عليه وسلم إلى المسجد لم يكن سوى الصحو الذى يسبق الموت ، وكان يرى الموت يدنو ولم يبق لديه شك فى أنه لم يبق له فى الحياة إلا ساعات قليلة [1] .

بل الرفيق الأعلى من الجنة :

خروج الرسول ﷺ لم يكن سوى الصحو الذى يسبق الموت

---

(١) حياة محمد ، د/ محمد حسين هيكل ص ٣٩٨ .

- كما سبق ، لذا عرف أنه لم تبق من حياته إلا لحظات ، ترى ماذا عسى أن يرى فى هذه اللحظات اليسيرة الباقية على انتهاء حياته ؟ هل كان يستذكر حياته منذ أرسله الله تعالى رسولاً وما وجد فيها من العذاب والإيذاء ومحاولة قتله ؟ أم يرى مبايعة المسلمين له ثم إقبالهم على الدخول فى دين الله أفواجًا ؟ أم يقضى ما بقى من أجله فى الاستغفار ويتوجه بكل روحه وكيانه إلى الله ؟ أم كان يعانى فى هذه اللحظات من آلام النزع ؟ تختلف الروايات فى ذلك أشهرها أنه دعا فى هذا اليوم بإناء فيه ماء بارد كان يضع فيه يده ويمسح بمائه وجهه ، ولما اشتد عليه الألم وشق عليه النزع توجه إلى الله تعالى بدعوة قائلاً : « **اللهم أعنى على سكرات الموت** » قالت عائشة : وكان رأسه ﷺ فى هذه اللحظة فى حجرها : « وجدت رسول الله ﷺ يثقل فى حجرى ، فذهبت أنظر فى وجهه فإذا بصره قد شخص وهو يقول : « **بل الرفيق الأعلى من الجنة** » قلت : خيرت فاخترت ، والذى بعثك بالحق ، وقبض رسول الله بين سحرى [1] ونحرى ودولتى لم أظلم فيه أحدًا ، فمن سفهى وحداثة سنى أنه صلى الله عليه وسلم قبض وهو فى حجرى ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهى » .

واختلف العرب كثيرًا حول موت رسول الله ﷺ وكادت أن تحدث فتنة كبيرة تنذر بحرب أهلية لولا أن الله تعالى أراد بهم وبدينه الحنيف الخير كل الخير [2] .

هذا وقد روى عن عائشة أيضًا قالت : « ما أغبط أحدًا بهون موت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ » (رواه الترمذى)

---

(١) **السحر** : الرئة ، أى أنه كان مستندًا إلى مع يحاذى الرئة من صدرها .
(٢) حياة محمد ، د/ محمد حسين هيكل ص ٣٩٨ .

وروى عنها كذلك قالت : « مات رسول الله ﷺ وإنه لبين حاقنتى وذاقنتى فلا أكره شدة الموت لأحد بعد النبى ﷺ » (رواه البخارى) والحاقنة : المطمئن بين الترقوة والحلق ، والذاقنة : فقرة الذقن ، وقيل : ما تناله الذقن من الصدر .

ورسول الله كما ذكرنا بشر وإن كان أفضل الخلق جميعًا ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ (1) وأنه كان يأكل ويشرب وينام كالبشر رغم عصمته بالنبوة ، وأوذى كثيرًا وصبر ، ومع هذا خير بين البقاء فى الدنيا والخلود فى الجنة ، أو لقاء الله والخلود فى الجنة فاختار لقاء الله والجنة ولذلك فإنه لابد ميت ، لذا فإن أبا بكر ﷺ حينما سمع بوفاته والناس لا يصدقونها أعلن على الناس موته فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : (من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حىّ لا يموت ، وتلا قول الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ (2) وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (3) .

سكرة الموت لبعض الرسل عليهم السلام :

وبعد أن ذكرنا مرض الرسول ﷺ وشدة ألمه ، وما وجده من سكرة الموت ، يجدر بنا أن نذكر سكرة الموت لبعض الأنبياء والرسل عليهم السلام .

إبراهيم عليه السلام وسكرة الموت :

روى أن ملك الموت عليه السلام جاء إلى إبراهيم أبى الأنبياء

---

(1) سورة الكهف : ١١٠ .

(2) سورة آل عمران : ١٤٤ .

(3) سورة الزمر : ٣٠ .

عليه السلام ، وخليل الرحمن عز وجل ليقبض روحه ، فقال له إبراهيم : يا ملك الموت ، هل رأيت خليلاً يقبض روح خليله ؟ فعرج ملك الموت إلى ربه فقال : قل له : هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله ؟ فعلم إبراهيم بما قيل لملك الموت ، فلما رجع قال له إبراهيم : اقبض روحى الساعة ، ففعل .

وذلك لأن هذا أمر الله على جميع البشر ولابد أن ينفذ ، وروى أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم قائلاً : « يا خليلى كيف وجدت الموت؟ قال : كسفود محمى جعل فى صوف رطب - والسفود : السيخ المحمى الذى تشوى فيه اللحوم فوق النار - ثم جذب ، قال له ربه : أما إنّا قد هوّنا عليك يا إبراهيم » .

وإذا كان وصف إبراهيم للموت وأنه كان يتمنى ألا يتجرع سكراته ، ولما عرف أنه ميت لا محالة لمقابلة خليله عز وجل لم يطق الصبر ، فقال لملك الموت : اقبض روحى الساعة ، حتى لا يتعذب من قسوة سكرات الموت من جهة إذا طال الانتظار ، ولانه سيلقى ربه سبحانه وهو ضامن للخلود فى الجنة ، ورغم خوف إبراهيم من سكرات الموت أولاً ، فإنه وصف الموت بالسفود المحمى ، وأن الله تعالى قال له : أما إنا قد هوّنا عليك يا إبراهيم » .

ترى إذا لم يكن هناك يسر وتهوين ، ماذا كان يمكن أن يكون الموت ؟ وكيف يكون مع بقية الناس إذا كان هذا كلام خليل الرحمن وأبى الأنبياء !؟ .

موسى وعيسى عليهما السلام وسكرة الموت :

روى أن موسى عليه السلام لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه : « يا موسى كيف وجدت الموت؟ قال : وجدت نفسى

كالعصفور الحى حين يُقْلِى على المِقْلَى لا يموت فيستريح ولا ينجد فيطير » ا هـ .

وروى عنه أنه قال : « وجدت نفسى كشاة تسلخ بيد القصاب - الجزار - وهى حية . »

وقال عيسى عليه السلام : « يا معشر الحواريين ادعوا الله أن يهون عليكم هذه السكرة » يعنى سكرة الموت .

وروى أن الموت أشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير ، وقرض بالمقاريض .

تعليق : هذا وصف الأنبياء للموت وسكراته ، وما أصابهم ، وذكرنا أمثلة لبعض الأنبياء وقولهم عنه . فإذا كان هذا الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين ، فما بال الناس عن ذكر الموت مشغولين ؟ وعن الاستعداد له متخلفين ؟ قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ (١) . وما جرى على الأنبياء والمرسلين عليهم السلام من شدائد الموت وسكراته له فائدتان :

إحداهما : أن يعرف الناس مقدار ألم الموت وأنه باطن ، وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يلحظ حركة ولا قلقًا ويرى سهولة خروج روحه ، فيغلب على ظنه سهولة أمر الموت ، ولا يعرف ما الميت فيه ؟ فلما ذكر الأنبياء الصادقون فى خبرهم شدة ألمه ، مع كرامتهم على الله وتهوينه على بعضهم قطع الخلق بشدة الموت الذى يعانيه ويقاسيه الميت مطلقًا لإخبار الصادقين عنه عدا الشهيد فى معركة الكفار بالميدان .

الثانية : ربما ظن البعض أن هؤلاء أحباب الله وأنبياؤه ورسله ،

---

(١) سورة (ص) : ٦٧ ، ٦٨ .

فكيف يقاسون هذه الشدائد العظيمة وهو سبحانه قادر أن يخفف عنهم ، كما ورد فى قصة إبراهيم « أما إنا قد هوّنا عليك » ؟! فالجواب : أن أشد الناس بلاء فى الدنيا الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، لكن هذا فى الدنيا [1] ، أما الموت فهو جزء من منازل الآخرة ، فإذا كانت سكرة الموت بهذه الصعوبة فما بالنا بالخلق عمومًا وقد كثر الفساد بينهم ؟ وكيف يكون الموت وسكرته بالنسبة لهم ؟

* * *

(١) التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبى ص ٢٥ .

سكرة الموت وشدتها على أمة محمد ﷺ

إن كأس الموت مرّ المذاق ، وإنه قد ذيق ويذاق ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ (١) ولنذكر بعض الآيات والأحاديث والآثار التى تبين شدة سكرة الموت على الناس حتىٰ يتعظوا ويعتبروا .

قال تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾ (٢) وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾ (٣) وقال عز وجل : ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾ (٤) ، وقال عز من قائل : ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴾ (٥) فهذه الآيات تبين بجلاء أن سكرة الموت وغمرته وشدته التى تغشى الإنسان وتغلب على عقله أمر حق لا ريب فيه ،وهى من أهوال الآخرة حتى يراها المنكر عيانًا .

وتشتد على معظم الخلائق ، ويراها الظالمون رَأْىَ العين وإن التوبة يغلق بابها عند هذه السكرة ، فسبحان الله إن للموت لسكرات ، هذا ما فى القرآن .

أما فى السنة : فمنها خلاف ما سبق ما روى عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ قال : « **تحدثوا عن بنى إسرائيل فإنه كانت فيهم أعاجيب** » (رواه ابن أبى شيبة فى مسنده) ثم أنشأ يحدثنا فيقول : « **خرجت طائفة منهم فأتوا على مقبرة من مقابرهم فقالوا : لو صلينا ركعتين**

(١) سورة آل عمران : ١٨٥ .
(٢) سورة (ق) : ١٩ .
(٣) سورة الأنعام : ٩٣ .
(٤) سورة الواقعة : ٨٣ .
(٥) سورة القيامة : ٢٦ .

ودعونا اللَّه أن يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت . قال : ففعلوا ، فبينما هم كذلك إذ طلع رجل رأسه بيضاء أسود اللون خلا شيئًا ، بين عينيه أثر السجود فقال : يا هؤلاء ما أردتم إلىّ ؟ لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن ، فادعوا اللَّه أن يعيدنى كما كنت » .

وعن أنس ﵁ عن النبى ﷺ قال : « **إن العبد ليعالج كُرب الموت وسكرات الموت ، وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول : عليك السلام تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة** » (رواه أبو هدبة) .

وعن واثلة بن الأسقع عن النبى ﷺ أنه قال : « **والذى نفسى بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف** » (ذكره أبو نعيم فى الحلية) .

وعن أنس أيضًا عن النبى ﷺ قال : « **الملائكة تكتنف العبد وتحبسه ولولا ذلك لكان يعدو فى الصحارى والبرارى من شدة سكرات الموت** » .

ويروى أن ملك الموت عليه السلام إذا تولى الله قبض نفسه - نفس ملك الموت - بعد موت الخلائق يقول : « **وعزتك لو علمت من سكرة الموت ما أعلم الآن** - بعد ما رأى بنفسه - **ما قبضت نفس مؤمن** » .

ولعل ما ذكرناه من الأحاديث السابقة يوضح حقيقة الموت ، وشدة سكراته حتى يتعظ المتكبرون ويستيقظ الغافلون ، لأن الناس نيام ، فإذا ماتوا انتبهوا ، إلا أننا نذكرهم قبل أن يأتى موعدهم ، لأن الموت غاية كل حىّ .

أما الآثار : فمنها ما روى أن عمرو بن العاص ﵁ حين حضرته الوفاة قال له ابنه : يا أبتاه ؟ إنك كنت تقول لنا : ليتنى كنت

ألقى رجلاً عاقلاً لبيبًا عند نزول الموت حتى يصف لى ما يجده - أى من سكرات الموت وشدتها - وأنت ذلك الرجل ، فصف لى الموت ، فقال : يا بنى والله كأن جنبى فى تخت وكأنى أتنفس من سم إبرة ، وكأن غصن شوك يجذبنى من قدمى إلى هامتى ا هـ .

ويحكى أن هارون الرشيد لما اشتد مرضه أحضر طبيبًا طوسيًا فارسيًا ، وأمر أن يُعرض عليه ماؤه - أى بوله - مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء ، فجعل يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيد ، فقال : قولوا لصاحب هذا الماء يُوصِّى فإنه قد انحلت قواه ، وتداعت - ضعفت - بنيته ، ولما استعرض باقى المياه أقيم فذهب ، فيئس الرشيد من نفسه وبلغه أن الناس قد أرجفوا بموته ، - حين كان فى النزع الأخير وعبر بالموت باعتباره أنه محقق - فاستدعى حمارًا وأمر أن يحمل عليه فاسترخت فخذاه - دلالة على شدة الضعف - فقال : أنزلونى ، صدق المرجفون ، ودعا بأكفان فتخير منها ما أعجبه ، وأمر فشق له قبر ثم اطلع عليه ، وتلا قول الله تعالى : ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ [1] ، فمات من ليلته .

ويحكى أن رجلين تخاصما فى أرض فأنطق الله عز وجل لبنة من حائط من تلك الأرض فقالت : يا هذان فيم تتخاصمان ؟ إنى كنت ملكًا من الملوك ، ملكت كذا وكذا سنة ، ثم مت وصرت ترابًا فبقيت كذلك ألف سنة ، ثم أخذنى خزَّاف - يعنى فخَّارًا - فعمل منى إناء فاستعملت حتى تكسرت ثم عدت ترابًا ، ثم أخذنى رجل فضرب منى لبنة ، فجعلنى فى هذا الحائط ففيم تنازعكما ؟ وفيم تخاصمكما ؟ [2] .

---

(١) سورة الحاقة : ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) التذكرة ص ٢٩ .

والحكايات فى هذا المعنى والوجود شاهد بتجديد ما اندثر ، وتغيير ما غبر ، وعن ذلك يكون الحفر والإخراج واتخاذ الأوانى وبناء الأبراج .

يقول القرطبى : لقد كنت فى زمن الشباب أنا وغيرى ننقل التراب على الدواب من مقبرة عندنا تسمى بمقبرة اليهود خارج قرطبة ، وقد اختلط بعظام من هناك ولحومهم وشعورهم وأبشارهم إلى الذين يصنعون القرمد للشقف[1] .

وهذا التغيير إنما يحل بالجسد وينزل بالبدن لا بالروح ، لأن الروح لها حكم آخر .

أيها المتكبر المتجبر المغرور ، ما ظنك بنازل ينزل بك فيذهب رونقك ويغير منظرك ومرآك ، ويمحو صورتك وجمالك ، ويردك - بعد النعمة والنضرة ، والسطو والقدرة - إلى حالة يبادر فيها أحب الناس إليك وأرحمهم بك ، فيقذفك فى حفرة من الأرض مظلمة أرجاؤها ، محكم عليك حجرها وبناؤها ، فتحكم فيك هوامها وديدانها ، ثم بعد ذلك تصير ترابًا ، توطأ بالأقدام وربما ضرب منك إناء فخار - كاللبنة التى أنطقها الله تعالى !؟ فهل نسيت يا جبار مصيرك هذا؟ ألم تعلم أن الموت هو الخطب الأفظع ، والأمر الأشنع ، والكأس التى طعمها أبشع ، وأنه الهاذم للذات ، والأقطع للراحات ، والمفرق للجماعات ، والأجلب للمكروهات !؟ ألم تعرف أيها السكران أن الموت يفرق أعضاءك ، ويهدم أركانك ؟ ألم تعلم أنه الأمر العظيم والخطب الجسيم ، وأن يومه لهُو اليوم العظيم ، وسكراته أشد من الجحيم ؟ ثم تذكّر قول الشاعر :

---

(١) المرجع السابق .

أذكر الموت ولا أرهبه   إن قلبى لغيظ كالحجر
أطلب الدنيا كأنى خالد   ووراثى الموت يقفو بالأثر

فاتخذ أيها المسلم التقوى والورع زادًا ، فإنك عما قريب تنقلب فى شدة يوم القيامة وأهوالها ، واذكر الموت الذى لابد منه ، لأنه نهاية كل حىّ ، تذكر قول الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [1] وقوله سبحانه : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [2] وقوله عز وجل : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [3] إنهم يضربون بسياط من جحيم ، وتذكر أيضًا قوله سبحانه : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [4] .

هل نسيت أيها الغافل ذلك ؟ إذا كنت نسيت فتفكر ، وإن كنت تتفكر فتذكر ، واعلم أنه إذا قرب الأجل نزل أربعة من الملائكة ، ملك يجذب النفس من قدم المؤمن اليمنى ، وملك يجذبها من قدمه اليسرى ، والنفس تنسل انسلال القطرة من السقاء ، وهم يجذبونها من أطراف البنان ، ورءوس الأصابع ، والكافر تنسل روحه كالسفود من الصوف المبتل ، فتمثل نفسك يا مغرور ، وقد حلت بك السكرات ، ونزل بك الأنين والغمرات ، فمن قائل يقول : إن فلانًا قد أوصى وماله قد أحصى ، ومن قائل يقول : إن فلانًا ثقل لسانه فلا يعرف جيرانه ، ولا يكلم إخوانه ، فكأنى أنظر إليك تسمع الخطاب ، ولا تقدر على رد الجواب ، ثم تبكى ابنتك وهى كالأسيرة وتتضرع وتقول : حبيبى أبى ، مَن لِيُتْمِى من بعدك ؟ ومن لحاجتى ؟

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٥ .
(٢) سورة الرحمن : ٢٦ ، ٢٧ .
(١) سورة محمد : ٢٧ .
(٤) سورة السجدة : ١١ .

وأنت والله تسمع الكلام ولا تقدر على رد الجواب .

يا ابن آدم . . تخيل نفسك إذا أخذوها من فراشك إلى لوح مغتسلك ، فغسلك الغاسل ، وألبسوك الأكفان ، وأوحش منك الأهل والجيران ، وبكت عليك الأصحاب والإخوان ، وقال الغاسل الذى يقوم بتغسيلك : أين زوجة فلان التى ترملت بعد موته تصبر على ما أصابها ؟ وكيف ترك الأب أولاده الذين أصبحوا يتامى ؟ إنهم لا يرونه بعد اليوم أبدًا .

ألا أيها المغرور مالك تلعب ... تؤمل آمالاً وموتك أقرب
وتعلم أن الحرص بحر مبعد ... سفينته الدنيا فإياك تعطب
وتعلم أن الموت ينقضّ مسرعًا ... عليك يقينا طعمه ليس يعذب
كأنك توصى واليتامى تراهم ... وأمهم الثكلى تنوح وتندب
تغص بحزن ثم تلطم وجهها ... يراها رجال بعدما هى تحجب
وأقبل بالأكفان نحوك قاصد ... ويحثى عليك التُّرْبُ والعين تسكب[1]

الموت كفّارة للمسلم :

إن الموت يعتبر تكفيرًا للذنوب بالنسبة للمسلمين ، وذلك لما روى عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**الموت كفارة لكل مسلم**» (رواه أبو نعيم) ، وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من يرد اللّه به خيرًا يصب منه**» (رواه مالك) وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى : «**إنى لا أخرج أحدًا من الدنيا ، أريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقما فى جسده ، ومصيبة فى أهله وولده ، وضيقًا فى معاشه ، وإقتارًا فى رزقه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر ، فإن بقى عليه شىء شددت عليه الموت حتى يفضى إلىّ كيوم ولدته أمه**» .

(١) التذكرة ص ٢٤ .

لكن هذا بخلاف من لا يرضى عليه ربه فإن عاقبته تكون كما فى الخبر الذى يقول الله تعالى فيه : « **وعزتى وجلالى لأ أخرج من الدنيا عبدًا أريد أن أعذبه حتى أوفيه بكل حسنة عملها بصحة فى جسده ، وسعة فى رزقه ، ورغد فى عيشه ، وأمن فى سربه ، حتى أبلغ منه مثاقيل الذر ، فإن بقى له شىء هونت عليه الموت حتى يفضى إلىّ وليس له حسنة يتقى بها النار** » .

وفى الأثر : روى عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب ﷺ قال : « إذا بقى على المؤمن من ذنوبه شىء لم يبلغه بعمله شُدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة ، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفًا فى الدنيا هُوّن عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ثم يصير إلى النار » .

أى أن شدة سكرة الموت للمؤمن تكفير لذنوبه ، أما الكافر فإن سكرة الموت تكون شديدة عليه - كما سبق - لكن إذا كان قد عمل معروفًا فى الدنيا ، مثل الصدقات والإصلاح بين الناس ونحو ذلك من المعروف ، فإن ما يحدث هو تهوين الموت ، فتكون سكراته ميسرة عليه بسبب هذا المعروف ، كيلا يخفف من عذابه فى جهنم وخلوده فيها والعياذ بالله ، لأن الأصل أن ملك الموت إذا قبض النفس المؤمنة السعيدة - ذات الأعمال الفاضلة - تناولها ملكان حَسَنَا الوجهين عليهما أثواب حسان ولهما رائحة طيبة فيلفانها فى حرير من حرير الجنة ، أما الكافر فتؤخذ نفسه عنفًا ، فإذا وجهه كأكل الحنظل والملك يقول : اخرجى أيتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث ، فإذا له صراخ أعظم ما يكون كصراخ الحمير ، فإذا قبضها عزرائيل ناولها لزبانية سود الثياب منتنى الرائحة ، ومعروف مصيرها فى جهنم وبئس القرار ، وعمل المعروف فى الدنيا ييسر هذا كله ، عدا الأخيرة ، وهى الخلود فى

النار .

أما المؤمن فقد ورد عن خروج روحه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجى أيتها الروح الطيبة** » (رواه مسلم) .

ما يسن عند سكرة الموت :

يسن عند سكرة الموت أو الاحتضار ما يأتى :

١ - تلقينه لا إله إلا الله لما روى عن سعيد الخدرى رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « **لقنوا موتاكم**[1] **لا إله إلا الله** » (رواه مسلم وغيره) وذلك ليكون آخر كلامه التوحيد ، لما روى فى الحديث : « **من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة** » (رواه أبو داود والحاكم) لكن إذا كان ينطق الشهادة لا داعى لتلقينه ، ولا يلح الملقن عليه فى ذلك ، وإذا تكلم بكلام آخر بعدها فيعاد عليه التلقين ليكون آخر كلامه التوحيد .

٢ - أن يوجه إلى القبلة مضطجعًا على جنبه الأيمن لما روى عن أبى قتادة أن النبى ﷺ لما قدم المدينة سأل عن البراء بن معرور ، فقالوا : مات وأوصى بثلث ماله لك ، وأن يوجه للقبلة لما احتضر فقال الرسول ﷺ : « **أصاب الفطرة وقد رددت ثلث ماله على ولده** ، ثم ذهب فصلى عليه وقال : **اللهم اغفر له وارحمه وأدخله جنتك وقد فعلت** » أى استجبت الدعاء (رواه البيهقى والحاكم) .

٣ - قراءة سورة يس لما روى عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : « **يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له واقرءوها على موتاكم** » .

(رواه أحمد وأبو داود ، لكن قال الدارقطنى : إنه حديث مضطرب الإسناد مجهول المتن)

---

(١) يراد به المحتضر ، ويعبر عنه بالميت باعتبار أنه فى حكم الميت .

وفى حديث آخر : « **ما من ميت تقرأ عنده « يس » إلا هوّن اللّه عليه** » .

٤ - تغميض عينيه لما روى أن الرسول ﷺ دخل على أبى سلمة وقد شق بصره ، فأغمضه ثم قال : « **إن الروح إذا قبض تبعه البصر** » (رواه مسلم) ويسجى صيانة له عن الانكشاف وسترًا لصورته المتغيرة ، وذلك لما روى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ « حين توفى سُجِّىَ[1] ببردة حبرة[2] » (متفق عليه) ، ويجوز تقبيله لأن الرسول قبلّ عثمان بن مظعون عندما مات وقَبَّله أبو بكر رضي الله عنه بعد موته بين عينيه .

٥ - المبادرة بتجهيزه عندما يتحقق موته ، وذلك بتغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه حتى لا تتغير رائحته ، وقضاء دينه لحديث « **نفس المؤمن معلقة بدَينه حتى يقضى عنه** » (رواه أحمد والترمذى) أى أن النفس محبوسة عن الجنة حتى يؤدى عنه دَّينه ، وهذا فيما إذا مات المسلم وعليه دَين وترك مالاً يمكن الوفاء منه ، أما إذا لم يكن قادرًا ولم يترك مالاً للوفاء لعدم قدرته فإن بيت المال يسدده عنه ، أو بعض المسلمين الأغنياء على سبيل التصدق .

فإذا لم يوجد فإن الورثة مكلفون بقضائه ، فإذا لم يستطيعوا وكان الميت ناويًا على القضاء وعجز فإن الله تعالى يقضى عنه ، أما القادر ولم يقض فإن الرسول ﷺ قال : « **من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى اللّه عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه اللّه** »[3] .

الأرواح جنود مجندة :

روى ابن المبارك عن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه قال : إذا قبضت

---

(١) **سُجِّى** : غطى .
(٢) **حبرة** : ثوب فيه أعلام .
(٣) فقه السنة (٤٢٢/١) .

نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمة منَ عباد الله تعالى ، كما يتلقون البشير فى الدنيا فيقبلون عليه يسألونه فيقول بعضهم لبعض : أَنظِروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان فى كرب شديد ، فيقبلون عليه فيسألونه ، ما فعل فلان ؟ وما فعلت فلانة ؟ هل تزوجت ؟ فإذا سألوه عن الرجل الذى مات قبله فإنه يقول : إنه هلك ، فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون ذُهب به إلى أمه الهاوية ، فبئست الأم وبئست المربية ، فتعرض عليهم أعماله فإن رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا وقالوا : اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها ، وإن رأوا شرًا قالوا : اللهم راجع بعبدك ، أى ارفق به .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى فإن كان خيرًا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تمتهم حتى تهديهم لما هديتنا** » ، وفى الحديث : « **الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف** » ولا يجوز سب الأموات ، وذلك لحديث : « **إن الميت يؤذيه فى قبره ما كان يؤذيه فى حياته** » وذلك لأن الميت إذا غسل وكُفن ، فإذا حمل على النعش فإنه يسمع كلام الناس من تكلم بخير ، ومن تكلم بشر ، فإذا وصل إلى قبره وصُلِّ عليه ردت فيه الروح وأقعد ذا روح وجسد ودخل عليه الملكان لسؤاله .

ويروى عن الكلبى أنه قال : يقبض ملك الموت الروح من الجسد ثم يسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمنًا ، وإلى ملائكة العذاب إن كان كافرًا ، وكذلك إن كان عاصيًا .

والإنسان مقدر عليه أن يموت بأرض معينة حتى ولو كانت بعيدة عن بلده الذى ولد ونشأ فيه وترعرع واستمر عيشه فيها وقد سألنى أحد الناس قائلاً : إننى تسببت فى موت ابنى وفلذة كبدى ،

فقلت له : لماذا ؟ قال : لقد كان مستريحًا فى يوم من الأيام من مشقة العمل فى اليوم السابق ، فطلبت منه أن يسافر إلى بلد بعيد جدًا عن بلده بما لا يقل عن خمسمائة كيلو متر وذلك بسيارة النقل التى يملكها لحمل بضاعة عليها وبيعها فى البلد الثانى ، فصدمت السيارة وهو فيها ومات وتلفت السيارة وبعض البضاعة ، ولا أهتم بالسيارة ولا بالبضاعة التى تلفت ولكن ابنى أنا الذى تسببت فى موته ، ولو لم أطلب منه السفر لما سافر ولما مات، فقلت له : يا أخى عليك الصبر ولا تحمل الأمر ما لا يحتمل ؛ لأن الله تعالى قدر أن يموت فى هذا اليوم وعلى هذه الأرض ، ولم يقتنع إلا بعد أن ذكرته بحديث الرسول ﷺ حيث قال : « **إذا قضى اللّه لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة** » ، وذلك ليكون المؤمن على ذكر دائم للموت والاستعداد له بحسن الطاعة والخروج عن المظلمة وقضاء الدّين ، وإتيان الوصية بما له أو عليه فى الحضر ، فضلاً عن أوان الخروج عن وطنه إلى سفر ، لأنه لا يدرى أين كتبت منيته من بقاع الأرض ، قال الشاعر :

مشيناها خُطًا كتبت علينا ... ومن كُتِبَتْ عليه خُطًا مشاها
وأرزاق لنا متفرقات ... فمن لم تأته منا أتاها
ومن كتبت منيته بأرض ... فليس يموت فى أرض سواها

فاسترح الرجل ، وقال : إنما هى أعمار محددة فى أراضٍ معينة فى أوقات مخصوصة .

* * *

أهوال القبر وما ورد فى شأنه

القبر أول منازل الآخرة ، لما روى عن هانئ بن عثمان قال : كان عثمان بن عفان ﷺ إذا وقف على قبر بكى حتى تبتل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكى ، وتبكى من هذا ؟ قال : إن رسول الله ﷺ قال : « **إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه أحد فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه** » (رواه ابن ماجه) وقال صلى الله عليه وسلم : « **ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه** » (رواه الترمذى) .

وعن جابر قال : « **نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه** » (رواه مسلم) ، وكره كثير من العلماء تجصيص القبور لأن ذلك من المباهاة وزينة الدنيا ، وتلك منازل الآخرة لا للمباهاة ، ويزين الميت فى قبره عمله .

أرى أهل القصور إذا أميتوا ... بنوا فوق المقابر بالصخور
أبوا إلا مباهاة وفخرا ... على الفقراء حتى فى القبور
لعمرك لو كشفت التُّرْبَ عنهم ... فما تدرى الغنىَّ من الفقير
إذا أكل الثرى هذا وهذا ... فما فضل الغنى على الفقير

وفى الحديث أن النبى ﷺ قال : « **إذا مات لأحدكم الميت فحسنوا كفنه وعجلوا إنجاز وصيته وأعمقوا له فى قبره ، وجنبوه جار السوء** » قيل : يا رسول اللّه وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة ؟ قال : « **هل ينفع فى الدنيا ؟** » قالوا : نعم ، قال : « **كذلك ينفع فى الآخرة** » وفى حديث آخر عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال : « **ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين ، فإن الميت يتأذى بالجار السوء** » (رواه مالك)

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **حسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون فى قبورهم** » ويقول أيضًا : « **القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار** » ، وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : « يجعل للقبر لسانٌ ينطق به فيقول : ابن آدم كيف نسيتنى ؟ أما علمت أنى بيت الدود ، وبيت الوحدة ، وبيت الوحشة؟ » ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **هذا الذى تحرك له عرش الرحمن ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهده أربعون ألفًا من الملائكة ، لقد ضم ضمة ثم فرّج عنه** » قال النسائى : يعنى سعد بن معاذ .

وعن عائشة رضى الله عنها أن الرسول ﷺ قال : « **إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ** » وذلك لأنه كان من أصلح الصحابة وأتقاهم ، وهو أول من ناصر الرسول ﷺ فى غزوة بدر حيث مثل الأنصار فى موقفه الشجاع ، وهو صاحب التحكيم فى بنى قريظة اليهود ، وحكم بقتل المقاتلين وسبى النساء والأولاد ، وقال له الرسول ﷺ : « **لقد حكمت عليهم بحكم الله من فوق سبع سموات يا سعد** » ، لذا كانت له هذه المنزلة العالية .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « **إن العبد الميت إذا وضع فى قبره وأقعد قال : يقول أهله : واسيداه واشريفاه واأميراه ، قال : يقول الملك : اسمع لما يقولون : أأنت كنت سيدا ؟ أأنت كنت أميرًا ؟ أأنت كنت شريفًا ؟ قال : يقول الميت : يا ليتهم يسكتون ، قال : فيضغط ضغطة تختلف فيها أضلاعه** » .

وقد ذكر كثير من العلماء : إنما يعذب الميت ببكاء الحى إذا كان البكاء من اختيار الميت كقول القائل :

إذا مت فانعينى بما أنا أهله وشقّى على الجيب يا ابنة معبد

ما ينجى من ضغطه القبر

وما ينجى من ضغطة القبر وفتنته ما روى أن الرسول ﷺ قال : **« من قرأ : (قل هو اللّه أحد) فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره ، وأمن من ضغطة القبر ، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة »** (رواه أبو نعيم وذكر أنه حديث غريب) .

وبالنسبة للَّحد ، روى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ **« اللحد لنا والشق لغيرنا »** (رواه أبو داود والترمذى ، وقال حديث حسن غريب) .

واللحد : هو أن يحفر للميت فى جانب القبر ، إن كانت الأرض صلبة ، وهو أفضل من الشق ، وروى أن سفيان الثورى قال : إذا سئل الميت من ربك ؟ تراءى له الشيطان فى صورة فيشير إلى نفسه إنى أنا ربك .. فهذه فتنة عظيمة ،ولذلك كان رسول الله ﷺ يدعو بالثبات فيقول : **« اللهم ثبت عند المسألة منطقه وافتح أبواب السماء لروحه »** وفى رواية عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : **« استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل »** (رواه أبو داود) .

ويحرم اللطم وشق الثياب والصراخ لقول الرسول ﷺ : **« ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية »** (متفق عليه) ويجوز البكاء وقد يستحب حتى لا يصاب أهل الميت بصدمة عصبية ، لأن الرسول ﷺ بكى عند وفاة ولده إبراهيم عليه السلام ، ولما تكلم أصحابه فى ذلك قال : **« إن العين لتدمع والقلب ليحزن وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون »** .

سؤال الملكين للعبد فى القبر :

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن العبد إذا وضع فى**

قبره وتولى عنه أصحابه - وإنه ليسمع قرع نعالهم - أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ﷺ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد اللّٰه ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك اللّٰه تعالى به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا » (رواه البخارى) قال قتادة ، وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره أربعون ذراعًا ، وقال مسلم : سبعون ذراعًا ، ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون ، ثم رجع إلى حديث أنس قال : « **وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين** » أى يسمعها الخلائق عدا الجن والإنس ، وفى رواية عن أبى داود عن البراء بن عازب قال : خرجت مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولمّا يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رءوسنا الطير وفى يده عود ينكت به فى الأرض ، ثم رفع رأسه فقال : « **استعيذوا باللّٰه من عذاب القبر** » مرتين أو ثلاثًا ، قال : « **وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ قال : ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى اللّٰه فيقولان : ما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام ، فيقولان : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول اللّٰه ، فيقولان له : وما يدريك ؟ قال : قرأت كتاب اللّٰه فآمنت وصدقت ، قال : فينادى مناد من السماء أن صدَّق عبدى فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابًا إلى الجنة ، قال : فيأتيه من رَوْحها وطيبها ، قال : ويفسح له مد بصره** » قال : « **وإن الكافر** - فذكر موته - وقال : **وتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : لا أدرى ، فيقولان ما هذا الرسول الذى بعث**

فيكم؟ فيقول : لا أدرى ، قال : فينادى مناد : أن كذّب عبدى فأفرشوه من النار وألبسوه من النار ، وافتحوا له بابًا إلى النار » قال : « **فيأتيه من حرّها وسمومها** » قال : « **ويضيّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه** » زاد فى حديث جرير قال : « **ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابًا** » قال : « **فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابًا ، ثم تعاد فيه الروح** » .

ويؤخذ مما سبق أن الميت حين دفنه يسمع قرع نعال المشيعين له ، فإذا كان آخرهم قد مضى لحاله يأتيه الملكان اللذان يقومان بسؤاله وهما : منكر ونكير ، فيقعدانه وتعود إليه الروح بقدر ما يسمع ، ويجيب فيسألانه عن ربه ودينه ونبيه محمد ﷺ ، فالمؤمن الطائع يقول : ربى الله ، والإسلام دينى ، ومحمد نبيِّى ورسولى ، فيقولان له : انظر إلى مكانك فى النار قد أبدلك الله به مكانًا فى الجنة ، ويرى مكانه فى النار ليشكر الله على أنه ليس من أهلها لشدة سعيرها ولهيبها ، ويرى مكانه فى الجنة ليحمد الله على أنها مستقره بفضل الله ورحمته ، أما الكافر والمنافق والعاصى ، فيقول : لا أدرى فى كل ما سبق ، فيقولان له : لا دريت ولا تليت ، فيقولان له : انظر إلى مكانك من الجنة قد أبدلك الله به مكانًا فى النار ، ويراهما جميعًا الجنة حتى يتحسر ويندم على أنه لم يعمل لها ، وأنه استجاب لوساوس الشيطان ، لأنه من أوليائه ، والنار بلهيبها وقسوتها ، ويستقر فيها وبئس المصير جزاء وفاقًا على أعماله السيئة ، ثم يضربه أحدهما بمطرقة شديدة يصرخ منها ، ويسمعها الخلائق عدا الثقلين ، ويظل هكذا حتى يوم يبعثون فى عذاب مقيم ، ويوم القيامة يكون العذاب أشد مع فرعون وهامان .

قال تعالى : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ

أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[1] والمراد - والله أعلم - أنهم فى النار صباحًا ومساء فى القبر ، ويوم القيامة يستقرون فى السعير المخلد ، وفى الحديث : « **القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار** » ومما يؤكد ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مر النبى ﷺ على قبر فقال : « **إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول ، ثم دعا بعسيب رطب فشقه شقين ، ثم غرس على هذا واحدًا ، وعلى هذا واحدًا ، ثم قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا** » (متفق عليه) وفى لفظ : « **أما أحدهما فكان لا يستبرئ** » بدلاً من « **يستنزه** » وعذاب القبر لا يطلع عليه أحد من البشر إلا أن الله تعالى أطْلع نبيه ﷺ على هذا العذاب حتى يبين العذاب لأمته كما يبين أن بعض الناس يستهترون بالبول فلا يستنجون منه ، وهو يؤثر على الصلاة من حيث الصحة ، لأن النجاسة لابد متعلقة بفاعل ذلك .

أما النميمة فهى كبيرة ويستهتر الناس بها وفى لفظ البخارى « **وما يعذبان فى كبير وإنه لكبير** » فهى من الكبائر ولكن استهان بها الناس ولذلك ينبه الرسول ﷺ على خطورة ذلك ، لذا كان القبر فتنة ، وكان الرسول ﷺ يتعوذ منه ويعلم أمته ذلك ، فقد روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « دخل علىّ رسول اللّه ﷺ وعندى امرأة من اليهود وهى تقول : إنكم تفتنون فى القبور ، فارتاع الرسول ﷺ وقال : « **إنما يفتن يهود** » قالت عائشة : فلبثنا ليالى ثم قال عليه الصلاة والسلام : « **هل شعرت أنه أوحى إلىّ إنكم تفتنون فى القبور** » قالت عائشة : فسمعت رسول الله ﷺ يستعيذ من عذاب القبر (رواه النسائى) .

---

(١) سورة غافر : ٤٦ .

وجميع الخلائق تسمع عذاب القبر حتى البهائم وذلك لما روى أن عائشة قالت : يا رسول الله إن عجوزين من عجائز يهود المدينة قالتا : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم ، قال النبى ﷺ « **صدقتا إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم** » (رواه مسلم) وأن الكافر أو العاصى إذا ضربته الملائكة بمطارق من حديد يسمعها كل من يليه ، وتسمعها الخلائق عدا الثقلين ولو سمعها إنسان لصعق .

الميت يسمع ما يقال من الحى :

عن أنس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما حدّث عن أهل بدر فقال : إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول : « **هذا مصرع فلان غدًا إن شاء اللَّه** » فقال عمر : والذى بعثه بالحق نبيًّا ما أخطأوا الحدود التى حدّ رسول الله ﷺ ، فجعلوا فى بئرٍ بعضُهم على بعض فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم فقال : « **يا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم اللَّه ورسوله حقًا ؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقًا** » فقال عمر : يا رسول الله كيف تكلم أجسادًا لا أرواح فيها ؟ قال : « **ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردّوا علىّ شيئًا** » (رواه مسلم) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن الذى كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام** » والفرق بين هذا وبين سابقه أن الأول يبين أنهم لم يجيبوا والثانى يدل على أن المؤمن يسمع ويرد ولكن الحى لا يسمع ، ويكون المراد : أنهم لا يتكلمون كلامًا يسمعه الحى ، وإلا فإنهم يجيبون ، أما الثانى فيبين أنهم يجيبون ، وإن كان الحى لا يسمع .

وذكر البعض أن الحديث الأول يدل أن الكفار يسمعون

ولا يجيبون لانشغالهم بالعذاب بعد شدة السؤال ، وأن الثانى يدل على أن المؤمنين يجيبون لفرحهم بتنعيمهم ولعل الأول هو الأصح ، وذلك لما روى أن أبا رزين جاء إلى الرسول ﷺ وقال له : يا رسول الله إنى أمرّ على القبور فماذا أقول ؟ فقال له الرسول ﷺ : « **قل : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، أنتم السابقون ونحن إن شاء اللَّه بكم لاحقون** » فقال : وهل يسمعون يا رسول الله ؟ فقال : **نعم ولكنهم لا يجيبون** » فيكون المراد أنهم لا يجيبون إجابة يسمعها الحى ، وإلا فإنهم يجيبون وذلك جمعًا بين الأدلة ، وليس المراد أن المؤمنين يجيبون والكافرين لا يجيبون ، وإلا فماذا نقول عن حديث أبى رزين رضي الله عنه وهو من خيرة الصحابة حيث قال له الرسول ﷺ « **ولكنهم لا يجيبون** » ؟ لكن روى أن عائشة رضى الله عنها أنكرت السماع للموتى ، واستدلت بقوله الله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[1] وقوله سبحانه : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[2] لكن لا تعارض بينهما ، لأنه يجوز أن يسمعوا فى وقت معين ، أو فى حالة خاصة ، فإن تخصيص العموم ممكن وصحيح إذا وجد المخصص ، وهو هنا حديث « **إنه ليسمع قرع نعـالهم** »[3] وبالمعلوم من سؤال الملكين للميت فى قبره وجوابه لهما وغير ذلك مما لا ينكر .

ومن الممكن أيضًا أن يقال : إن أهل القبور ليسوا من أهل الدعوة ، لأنهم لا يستجيبون لها ، حيث أنهم فى برزخ يسألون ويحاسبون على ما عملوه فى الدنيا ، فكيف وقد رأوا نتيجة أعمالهم أن يكلفوا بالعمل فى القبر ؟ وقد شبَّه القرآن حالة الكفار الذين

---

(١) سورة الروم : ٥٢ .
(٢) سورة فاطر : ٢٢ .
(٣) التذكرة ص ١٦٤ .

يصمون آذانهم لعدم استجابتهم للدعوة بحالة أهل القبور المشغولين بالنعيم أو العذاب على أعمالهم ، فلا يستجيبون لما يقال لهم من الموعظة أو نحوها ، وإلا فهؤلاء وأولئك يسمعون فى الحقيقة لكنهم يصمون آذانهم كأنهم لم يسمعوا وقد فعلت ما عليك يا محمد نحوهم ولا أمل فى استجابتهم لدعوتك .

وفى التخفيف من سؤال القبر :

ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لرجل : ألا أتحفك بحديث تفرح به ؟ قال الرجل : بلى يا ابن عباس رحمك الله ، قال : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾[1] احفظها وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك فإنها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها ، وتطلب له إلى ربها أن ينجيه من عذاب النار إذا كانت فى جوفه ، وينجى الله بها صاحبها من عذاب القبر ، يقول الرسول ﷺ « **وددت لو أنها فى قلب كل إنسان من أمتى** » وروى أن قراءة الرجل ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[2] ثلاث مرات فى مرض موته ينجى أيضًا من حساب القبر .

وروى أن الرسول ﷺ قال « **من تقيله بطنه لم يعذب فى قبره** » (رواه أبو داود) وفى رواية أخرى أنه قال : « **من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقّاه الله فتنة القبر** » وفى لفظ « **أجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء** » (رواه الترمذى ، وقال غريب بهذا اللفظ إلا أن له شواهد أخرى تؤدى إلى نفس المعنى) .

وقد روى عن جابر أن الرسول ﷺ قال بالنسبة للشهداء حتى

---

(١) سورة الملك : ١ .

(٢) سورة الإخلاص : ١ .

لا يفهم أحد أن الشهادة قاصرةعى من قتل بداء البطن فقط « **الشهداء سبعة سوى القتل فى سبيل الله : المطعون والمبطون والغرق والحرق** - من مات فى الحريق - **وصاحب ذات الجنب** - أى بالقروح - **والذى يموت تحت الهدم والمرأة تموت بجمع** » (رواه النسائى) وهى التى تموت من الولادة وولدها فى بطنها قد تم خلقه ، وقيل : إذا ماتت من النفاس فهى شهيدة ، وقيل : التى ألقت ولدها أو ماتت وهو فى بطنها ، وقيل : التى تموت بكرًا لم يمسها الرجال ، ويمكن أن تشمل هؤلاء جميعًا .

وكذلك ورد حديث « **من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد** » (رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح) .

والإنسان يبلى ويأكله التراب لما روى عن أبى هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ « **كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب** » (رواه مسلم وابن ماجه) وعجب الذنب هو رأس العصعص أى أسفل سلسلة الظهر ، والشهداء الذين يقتلون فى معركة ضد المشركين فى ميدان القتال لا يغسلون ولا يصلى عليهم ويكفنون فى ثيابهم ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١) ، ولا تبلى أجسادهم وذلك لما روى عن عبد الرحمن بن أبى صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين كانا قد حفر السيل قبرهما ، وكان قبرهما مما يلى السيل ، وكانا فى قبر واحد ، وهما ممن استشهدوا يوم أُحد ، فحفر عنهما لتغيير مكانهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو

(١) سورة آل عمران : ١٦٩ .

كذلك ، فأميطت يده عن جرحه ، ثم أرسلت فرجعت عما كانت ، وكان بين أُحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة (رواه مالك) .

وهناك قصص واقعية كثيرة حدثت فى زمننا هذا منها : أن السيل وقع منذ زمن قريب وأصاب قبر ابن الجموح فوجد على هيئته يوم استشهاده كأنه وقع بالأمس ، وحدث أيضًا أن السلطات فى المدينة المنورة كانوا يحفرون لتوصيل الكهرباء فى منطقة البقيع ، فخرج جثمان العباس عم الرسول ﷺ وبه جرح يسيل منه الدم ، أى لم يجف بعد وكأنه مات بالأمس القريب ، وهكذا فالأحاديث والآثار والواقع كله يؤيد هذا المعنى ، أن الشهداء لا تبلى أجسادهم وبعضهم كأنه مات بالأمس رغم مرور مئات السنين على الوفاة بل رغم مرور أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان على وفاته ، أما الشهداء الآخرون الذين ماتوا فى غير ميدان القتال فإنه على الرغم من أنهم من أهل الجنة ، إلا أنهم يكفنون ويغسلون ويصلى عليهم شأنهم فى ذلك شأن بقية المسلمين ، وأول من فعلوا معه ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين طعنه أبو لؤلؤة فيروز المجوسى ، حيث إنه كُفِّن وغُسِّل وصُلِّىَ عليه رغم أنه شهيد ، وذلك كبقية المسلمين .

وفى نهاية الدنيا – بعد العلامات الصغرى ، ثم الكبرى بزمان لا يعلمه إلا الله عز وجل – ينفخ إسرافيل فى الصور للمرة الأولى فيموت كل من فى هذا العالم من مَلَكٍ وإنس وجانٍّ وجماد ونبات وكل المخلوقات عدا من استثناهم القرآن الكريم حيث قال : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [1] واختلف العلماء فى هذا الاستثناء ، إلا أن الرأى الصحيح أنهم : حملة العرش وجبريل وميكائيل

(١) سورة الزمر : ٦٨ .

وإسرافيل وعزرائيل ، وسوف يموتون بعد ذلك ولا يبقى أحد من المخلوقات ، ويبقى الخالق الأزلى الأبدى الذى لا بداية ولا نهاية له : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [1] ، ويروى فى مثل ذلك عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : « **يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟** » (متفق عليه) .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « **يطوى الله السماء يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الأرض بشماله ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟** » (رواه مسلم) .

وبعد فناء الخلق يقول الله تعالى ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ [2] ، فيجيب على ذاته المقدسة قائلاً : ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [3] .

وهناك روايات غير هذا لكن هذه أقواها ، لأن المراد إظهار انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعوى المدعين ، إذ قد ذهب كل ملك وملكه ، وكل جبار متكبر وملكه ، وانقطعت نسبتهم ودعاويهم وهذا مقتضى قوله الحق « **أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟** » ثم يحيى الله تعالى إسرافيل لينفخ النفخة الثانية ، وبين النفختين أربعون عامًا ، وبعد هذه النفخة يخرج الناس من الأجداث سراعا إلى حسابهم ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [4] وقال سبحانه ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [5] وذلك لأن هذا النفخ هو سبب

---

(١) سورة القصص : ٨٨ .

(٢) سورة غافر : ١٦ .

(٣) سورة غافر : ١٦ .

(٤) سورة الزمر : ٦٨ .

(٥) سورة النبأ : ١٨ .

خروج أهل القبور وغيرهم ، فيعيد الله الرفات من أبدان الأموات ، ويجمع ما تفرق منها فى البحار وبطون السباع وغيرها حتى تعود كهيئتها الأولى ، ثم يجعل فيها الأرواح فتقدم الناس كلهم أحياء حتى السقط ، فإن النبى ﷺ قال : « **إن السقط ليظل محبنطئا على باب الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : لا حتى يدخل أبواى** » وهذا السقط هو الذى تم خلقه ، ونفخ فيه الروح ، حتى الموءودة لأنها ماتت وكان فيها الروح طبعًا ، لأنها قتلت ظلمًا من والدها ، قال تعالى فى ذلك : ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾[1] فدل هذا على أن الموءودة تحشر وتسأل ، ومن قبرها تخرج وتبعث ، أما من لم ينفخ فيه الروح فهو وسائر الأموات سواء ، كالجماد .

ويبعث كل إنسان على ما مات عليه لما روى عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « **يبعث كل عبد على ما مات عليه** » (رواه مسلم) ، وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **والذى نفسى بيده لا يكلم أحد فى سبيل الله** - والله أعلم بمن يكلم فى سبيله - **إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والعرف عرف المسك** » (متفق عليه) .

وهذا يؤكد ما سبق من أن الشهداء لا تبلى أجسادهم وتأيد ذلك بالدليل والواقع ، وفى حديث آخر : « **من مات سكران فإنه يعاين ملك الموت سكران ، ويعاين منكرًا ونكيرًا سكران ، ويبعث يوم القيامة سكران ، إلى خندق فى سوط جهم يسمى السكران ، فيه عين يجرى ماؤها دمًا لا يكون له طعام ولا شراب إلا منه** » وهكذا .

وعدد النفخات فى الصور قيل ثلاث نفخات ، وقيل نفختان ، فالقائلون بأنها ثلاث نفخات قالوا : هى نفخة الفزع لقوله تعالى :

---

(١) سورة التكوير : ٨ ، ٩ .

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ (١) ونفخة الصعق ونفخة البعث ، قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (٢) وقيل : هما نفختان لأن نفخة الفزع هى نفخة الصعق لأن الأمرين لازمان لها ، أى فزعوا فزعًا ماتوا منه .

والسنة الثابتة أنهما نفختان ، وهو الذى يؤيده القرآن ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ أى نفخة الصعق لفناء جميع الخلق ، ونفخة للبعث ليستيقظ الناس من موتهم ينظرون إلى أحوال الدنيا التى تغيرت وكل إنسان لا يهمه إلا نفسه ، ويقول : يا رب سلم سلم ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (٣) ، ويقول سبحانه ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (٤) إلا أن العبد المؤمن الصالح يتلقاه الملكان اللذان كانا معه فى الدنيا حين يبعث من قبره فيقولان له : لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة التى كنت توعد بها ، فيؤمّن الله خوفه ، ويقرّ عينه لما هداه الله له ولما كان يعمله من الصالحات فى الدنيا رغم خوف الناس وفزعهم وهلعهم ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ (٥) أما الكفار والعصاة

(١) سورة النحل : ٨٧ .
(٢) سورة الزمر : ٦٨ .
(٣) سورة عبس : ٣٤ - ٣٧ .
(٤) سورة الحج : ٢ .
(٥) سورة مريم : ٨٥ .

فيقول الله فى حقهم : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [1] ويقول : ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [2] وحين تبدل الأرض غير الأرض والسموات فإن المؤمنين يكونون على الصراط ، أما الكفار فإنهم يكونون على جسر جهنم ، وقيل : الحشر سوف يكون على أرض الشام ، وأول من يتكلم من الإنسان جوارحه وخاصة الفخذ والكف ، وأول من يكسى إبراهيم عليه السلام ، والنبى محمد ﷺ أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ، ويحشر الناس حفاة عراة كما بدأهم الله قد عادوا لا فرق بين صغير وكبير ، ولا أبيض أو أسود ، ولا بين ملك وسوقة ولا بين الرجال والنساء ، لأن الجميع يحشرون حفاة عراة ، فقالت عائشة : يا رسول الله الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض ؟ فقال لها : « **يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض** » (رواه مسلم) .

وفى رواية عند الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « **تحشرون حفاة عراة غرلا** - غير مختونين - **فقالت امرأة : أيبصر بعضنا - أو يرى بعضنا - عورة بعض ؟ قال : أيا فلانة ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** » قال : حديث حسن صحيح .

هذا وقد ذكر العلماء أن القيامة نوعان : صغرى وكبرى ، فالصغرى هى الموت ، لأن كل من مات فقد قامت قيامته ، أى قامت قيامته الصغرى ، ثم يسأل فى قبره ويعذب أو ينعم حسب عمله ، وهذا جزء من عذاب جهنم يوم القيامة ، أو من نعيم الجنة لحديث : « **القبر إما روضة من رياض الجنة ، وإما حفرة من حفر النار** » ثم يبعث ويدخل الجنة فضلاً ورحمة من الله ، أو النار جزاءً وفاقًا على

---

(١) سورة الأنعام : ٣١ .

(٢) سورة مريم : ٨٦ .

عمله ، وهذه هى القيامة الكبرى ، وهذه القيامة لها عدة أسماء منها : يوم النفخة ، ويوم الزلزلة ، ويوم الرجفة ، ويوم الناقور ، والقارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها ، ومنها : يوم البعث ، لأن الناس يبعثون فيه ، ومنها يوم النشور ، أى إحياء الله الموتى ، ويوم الخروج أى الخروج من القبور للحساب ، ويوم الحشر ، وهو الجمع ، ويوم العرض لأن الناس يُعرضون للسؤال أمام ربهم سبحانه وتعالى ، ومنها يوم الجمع ، ويوم التفرق ، ويوم الصدع والصدر ، ويوم البعثرة أى تتبع الشىء المختلط مع غيره حتى يخلص منه فيخلص الله تعالى الأجسام من التراب والكافرين من المؤمنين والمنافقين ، ثم يخلص المؤمنين من المنافقين كما فى الحديث الشريف « **إن اللَّه تعالى يجمع الأولين والآخرين فى صعيد واحد** » (رواه مسلم عن أبى هريرة) وغير ذلك من الأسماء المتعددة ليوم القيامة ، كالحاقة ويوم القصاص ، ويوم الطامة ، ويوم الوعيد ، ويوم الدين ، ويوم الجزاء ، ويوم التلاق ، ويوم الندامة ، ويوم المصير ، ويوم القضاء ، ويوم الوزن ، ويوم عسير ، ويوم مشهود ، ويوم التغابن إلى آخره .

ما ينجى من أهوال يوم القيامة :

هناك أمور كثيرة تنجى المسلمين من أهوال هذا اليوم العظيم ، ويعرفها كثير من الناس ، ولكن للتذكير نذكر بعضًا منها ، من ذلك ما روى عن أبى هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ « **من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفّس اللَّه عنه كربة من كرب يوم القيامة** » (رواه مسلم) ، وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « **حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرًا ، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر ، قال : قال اللَّه تعالى : أنا أحق بذلك منك تجاوزوا عن عبدى** » (رواه مسلم) ، وفى

رواية « **من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله فى ظله** » وفى رواية عن أنس قال : « **من أنظر مديونًا فله بكل يوم عند الله وزن أُحد ما لم يطلبه** » ، وعن أنس أن النبى ﷺ قال : « **من أشبع جائعًا وكسا عريانًا وآوى مسافرًا أعاذه الله من أهوال يوم القيامة** » وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **سبعة يظلهم اللّه فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، الإمام العادل ، وشاب نشأ فى عبادة اللّه ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى اللّه عز وجل اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف اللّه تعالى ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر اللّه خاليًا ففاضت عيناه من الدمع** » (متفق عليه) ، ومعنى فى ظله : أى فى ظل عرشه .

وكثير من الأعمال تنجى من هذه الأهوال مثل بر الوالدين وصلة الرحم ، والتراحم بين الناس ، والبعد عن الحقد والحسد والغيبة والنميمة ، والكذب والحفاظ على الفرائض والبعد عن المحرمات ، وكثرة التهجد والتنفل هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه ، أما الظالم فحسابه عسير كالمنافق لأنه من أعتى العصاة ، من ذلك ما روى عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال : « **من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم . إن كان له عمل صالح أخذه منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه** » (رواه البخارى) .

وعن أبى هريرة أيضًا أن رسول الله ﷺ قال : « **أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . قال : المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى**

هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار » (رواه مسلم) .

وروى عن عمر رضي الله عنه قال : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا » وإنما حسابه لنفسه أن يتوب من كل معصية قبل الموت توبة نصوحًا ، ويتدارك ما فرط من تقصير فى فرائض اللّٰه عز وجل ، ويرد المظالم إلى أهلها حبة حبة ، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسطوته بقلبه ، ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة ، فهذا يدخل الجنة بدون حساب ، فإن مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه ، فهذا يأخذ بيده ، وهذا يقبض على ناصيته ، وهذا يتعلق بلبته ، وهذا يقول ظلمتنى ، وهذا يقول شتمتنى » .

لذا فإن الله تعالى يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (١) وعلى الناس أن يتذكروا قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ ﴾ (٢) إلى أن قال : ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ (٣) .

فما أشد فرحتك اليوم بتشدقك بأعراض الناس أيها المغرور المتكبر ، وتناولك أموالهم ، وما أشد حسرتك يوم القيامة إذا وقف بك على بساط العدل ، وشوفهت بخطاب السيئات وأنت مفلس فقير عاجز لا تقدر على أن ترد حقًا أو تظهر عذرًا ، فعند ذلك تؤخذ حسناتك التى تعبت فيها عمرك وتنقل إلى خصومك عوضًا عن حقوقهم .

---

(١) سورة غافر : ١٧ .
(٢) سورة إبراهيم : ٤٢ .
(٣) سورة إبراهيم : ٤٣ .

فانظر أيها الجبار إلى مصيبتك فى مثل هذا اليوم إذ ليست لك حسنة قد سلمت من آفات الرياء ومكائد الشيطان ، فإن سلمت حسنة واحدة فى مدة طويلة ابتدرها خصومك وأخذوها ، فاتق الله وأعط المظالم لأهلها وحافظ على صلاتك وصومك ، فلعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت أنه لا يمضى عليك يوم ويجرى على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفى جميع حسناتك ، فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشهوات والتقصير فى الطاعات ؟ وكيف ترجو الخلاص من المظالم فى يوم يقتص فيه من القَرْناء للجَمَّاء - التى لا قرن لها - ﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا ﴾[1] .

فكيف بك يا مسكين فى يوم ترى فيه صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك ؟ فتقول : أين حسناتى ؟ فيقال : نقلت إلى صحيفة خصومك ، وترى صحيفتك مشحونة بسيئات غيرك ، فتقول : يا رب هذه سيئات ما ارتكبتها قط ، فيقال لك : هذه سيئات الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم فى المعاملة والمجاورة والمخاطبة والمذاكرة وسائر أصناف المعاملة .

فاتق الله فى مظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم ، وإساءة الخلق فى معاشرتهم ، ومن اجتمعت عليه المظالم وتاب بردها إلى أهلها فليكثر من الاستغفار لكل من ظلمهم ، فعسى ذلك يقربه من الله عز وجل .

* * *

---

(١) سورة النبأ : ٤٠ .

أول ما يحاسب عليه العبد

وأول ما يحاسب عليه العبد من العمل الصلاة ، ومن الأقضية الدماء ، وذلك لما روى عن ابن مسعود أن النبى ﷺ قال : « **أول ما يقى بين الناس يوم القيامة فى الدماء** » (رواه البخارى والترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح) وفى رواية للنسائى : « **أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة ، وأول ما يقضى بين الناس الدماء** » وعن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : « **فيكون أول ما يقضى بينهم فى الدماء ، ويأتى كل قتيل قتل فى سبيل اللّه فيأمر اللّه كل من قتل فيحمل رأسه وتشخب أوداجه دمًا فيقول : يا رب سل هذا فيم قتلنى ؟ فيقول اللّه تعالى له - وهو أعلم - : فيم قتلته ؟ فيقول : يا رب قتلته لتكون العزة لى ، فيقول اللّه تعالى : تعست ، ثم لا تبقى قتلة إلا قتل بها ، ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها ، وكان فى مشيئة اللّه تعالى إن شاء عذبه وإن شاء رحمه** » .

وعن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « **يجىء المقتول يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دما يقول : يا رب قتلنى هذا ، حتى يدنيه من العرش** » (رواه الترمذى وقال : حسن غريب) .

وعن يحيى بن سعيد قال : « بلغنى أن أول ما ينظر فيه من عمل المرء الصلاة ، فإن قبلت منه نظر فيما بقى من عمله ، وإن لم تقبل منه لم ينظر فى شىء من عمله » (رواه مالك) .

لذلك يجب على المسلم أن يحافظ على أداء فريضة الصلاة كما أمر الله بكل طمأنينة فى الركوع والسجود والرفع والجلوس بين السجدتين ، فإن غفل عن شىء من ذلك فيجتهد فى نفله ولا يتساهل فيه وهناك بعض من يُنسبون إلى العلم بالفرض والنفل إذ ينقر الصلاة

نقر الديك ، فكيف بالجهال الذين لا يعلمون . والصلاة على هذه الصفة يدخل صاحبها فى معنى قوله تعالى ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾(١) .

قال البعض : إن التضييع للصلاة هو عدم إقامة حدودها من مراعاة وقت وطهارة وتمام ركوع وسجود ونحو ذلك ، وهو مع ذلك يصلى لحديث « **لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه فى الركوع والسجود** » .

التوبـة :

بعد أن بينا سكرات الموت وعواقبه ، والقبر وعذابه ونعيمه ، وبعض أهوال يوم القيامة نقول للمسلم الذى يجب أن يفكر فى كل هذا وأمثاله حتى يتوب إلى الله تعالى قبل أن يفاجئه الأجل المحتوم وخاصة الذين اغتروا بأموالهم : ياهذا أين الذى جمعته من مال وأعددته للشدائد والأهوال ؟ لقد أصبحت كفك منه عند الموت خالية صفرًا ، وبدلت بعد غناك وعزك ذلاً وفقرًا ، فكيف أصبحت يا رهين أو زاره ، ويا من سلب من أهله ودياره ؟ ما كان أخفى سبيل الرشاد عليك ، وأقل اهتمامك لحمل الزاد إلى سفرك البعيد ، وموقفك الصعب الشديد : ألا علمت أيها المغرور أنه لابد من الارتحال إلى يوم شديد الأهوال ولن ينفعك أحد من أهل القيل والقال ؟ ، أنسيت أنك سوف تقف بين يدى الملك الديان ، ليحاسبك على ما بطشت يداك ومشت قدماك ، ونطق به اللسان ، وعملت الجوارح والأركان ؟ فإن رحمك فإلى جنة عرضها السماوات والأرض ، وإن كانت الأخرى فإلى جهنم وبئس القرار ، وما أدراك ما جهنم التى يقول الله تعالى فى

---

(١) سورة مريم : ٥٩ .

حقها : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ ![1] .

يا غافلاً عن ذلك إلى متى هذه الغفلة والنسيان ؟ أتظن أن الأمر صغير ، وأن الخطب يسير ؟ وهل تظن أن حالك سوف ينفعك إذا حان وقت وفاتك ؟ أو تفكر أن مالك سوف ينقذك ، أو يغنى عنك ندمك بعد فوات الأوان ؟ وهل يعجبك التكاثر بما لديك ، ولا تذكر ما بين يديك ؟ يا نائمًا فى غفلة إلى متى هذه الغفلة تنتظر ؟ أيها الشره الذى لا يشبع ، لا بالكفاف تقنع ، ولا من الحرام تشبع ، ولا للوعاظ تستمع ولا بالوعيد ترتدع ، أتزعم أنك سوف تترك سدى ، ولا تحاسب غدًا ، أم تحسب أن الموت غير آت ؟ كلا ، والله لن يدفع عنك الموت مال ولا بنون ، ولا ينفع أهل القبور إلا العمل المبرور ، فطوبى لمن سمع ووعى ، وحقق ما ادعى ، ونهى النفس عن الهوى ، وعلم أن الفائز من اهتدى ، قال تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[2] .

فانتبه من هذه الرقدة واجعل العمل الصالح لك عدة ، ولا تَتَمنَّ منازل الأبرار ، وأنت مقيم على الأوزار ، عامل بعمل الفجار ، بل أكثر من الأعمال الصالحات ، وراقب الله تعالى فى خلواتك ، رب السموات والأرض ، ولا يغرنّك الأمل ، فتزهد فى العمل ، ألم تستمع لقول الرسول الكريم ﷺ حين جلس على القبور : « **يا إخوانى لمثل هذا فأعدوا** » أو لم تستمع لقول الله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[3] وتذكر قول الشاعر :

تزود من معاشك للمعاد وقُمْ للَّه واعمل خير زاد

---

(1) سورة (ق) : ٣٠ .

(2) سورة النجم : ٣٩ - ٤٢ .

(3) سورة البقرة : ١٩٧ .

ولا تجمع من الدنيا كثيرا فإن المال يجمع للنفاد
أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

وقال آخر :

يا نفس إنى قائل فاسمعى مقالة من مشفق ناصح
لا ينفع الإنسان فى قبره غير التقى والعمل الصالح

وقال ثالث :

ولدتك إذا ولدتك أمك باكيا والقوم حولك يضحكون سرورا
فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا فى يوم موتك ضاحكًا مسرورا

وروى عن أحد العلماء الصالحين أنه قال : أيها الناس إنى لكم ناصح وعليكم شفيق ، فاعملوا فى ظلمة الليل لظلمة القبر ، وصوموا فى الحر قبل النشور ، وحجوا يحط عنكم عظائم الأمور ، وتصدقوا مخافة يوم عسير (١) .

وقال آخر : أيها المقبور فى حفرته ، المتخلى فى القبر بوحدته ، المستأنس فى بطن الأرض بأعماله ، ليت شعرى بأى أعمالك استبشرت ، وبأى أحوالك اغتبطت !؟ ثم بكى هذا الصالح وقال أحد تلاميذه عنه : استبشر - والله - بأعماله الصالحة ، واغتبط - والله - بإخوانه المعاونين له على طاعة الله ، وكان إذا نظر إلى القبر صرخ ، وذلك لشدة خوفه من فتنته وعذابه .

إذا كانت هذه منازل الصالحين وتمنياتهم وشدة بكائهم خوفًا من سكرة الموت ومن القبر فما بال بقية الناس !؟ إنهم تائهون فى الظلمات يوسوس لهم الشيطان بعمل الشر والفساد ، لذا وجب على هؤلاء أن يتوبوا ويرجعوا إلى بارئهم ، وإذا كان كل بنى آدم خطّاء فإن

---

(١) التذكرة للقرطبى ص ١٠٢ .

هناك فرقًا بين خطّاء وآخر ، منهم من لا يصر على صغيرة ، ويعمل قدر طاقته على تحاشيها ، ومنهم من يصير على ارتكاب كبائر الإثم والفواحش ، لذا وجب أن يتوبوا قبل أن يدركهم الموت الذى لا مفر منه قال تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [1] وقال سبحانه ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ [2] .

والآيات والأحاديث التى تتحدث عن التقوى كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، قول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [3] وقال سبحانه بعد أن ذكر بعضًا من كبائر الذنوب ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ [4] وقال عز وجل : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [5] وقال عز من قائل : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [6] .

ويقول الرسول الكريم ﷺ « **ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من كذا ، هل من كذا حتى يطلع الفجر** » والمراد بقوله : ينزل ربنا :

---

(١) سورة النساء : ٧٨ .
(٢) سورة الجمعة : ٨ .
(٣) سورة الزمر : ٥٣ .
(٤) سورة الفرقان : ٦٨ - ٧١ .
(٥) سورة النور : ٣١ .
(٦) سورة الأعراف : ١٥٦ .

أي ينزل ملك من عند ربنا ، أو تنزل رحمة ربنا ، ويقول عليه الصلاة والسلام « **التائب من الذنب كمن لا ذنب له** » وغير ذلك كثير فالله سبحانه لا يعذِّب لمجرد العذاب ، وإنما يعذب بسبب الكفر أو العصيان ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١) ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (٢) ويقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ (٣) .

والله تعالى أرحم بعباده من الوالدة على ولدها ، فماذا يريد العصاة بعد هذه الرحمات ، وفتح أبواب السماء للدعاء !؟ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٤) وقال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (٥) ، ولكن كيف يستجاب الدعاء من العاصى ؟ لن يتحقق إلا بعد التوبة ، والندم على ما فات مع عدم العودة إلى ذلك مرة أخرى ، مع الالتزام بالأوامر ، وعدم الإصرار على الصغائر ، وأن يكون مطعمه حلالاً ومشربه حلالاً ، بعد ذلك فإن التوبة تجُبُّ ما قبلها ، والدعاء مقبول إذا توفرت شروطه ، فاعمل لدنياك عن طريق حلال شريف ، واعمل للآخرة كأنك تموت غدًا .

وإذا كنا نذكرك بالموت وسكراته ، فليس من أجل أن تتفرغ للعبادة ، وإنما التذكير بذلك حتى تجتهد وتسعى فى عملك ، وتتوكل على الله ، بمعنى أن تأخذ بالأسباب ، فالطالب عليه أن يذاكر دروسه ويجتهد ، ويقول : توكلت على الله ، والتاجر عليه أن يقوم مبكرًا إلى عمله ويجتهد فيه ويقول : توكلت على الله ، والمزارع عليه

---

(١) سورة يونس : ٤٤ . (٢) سورة الإسراء : ٧١ .
(٣) سورة النساء : ٤٠ . (٤) سورة غافر : ٦٠ .
(٥) سورة البقرة : ١٨٦ .

أن يعتنى بزراعته ويقول : توكلت على الله ، والصانع عليه أن يتقن صناعته ، ويقول : توكلت على الله ، والموظف عليه أن يجتهد فى عمله وينجز أعمال الناس ولا يعطل مصالحهم ولا يحصل منهم على رشاوى ، ويقول : توكلت على الله ، وهكذا . . أى أنه على الإنسان أن يأخذ بالأسباب ، ولا يهمل ولا يقصّر ويقول : توكلت على الله ، وهذا كله يعتبر عبادة ، بل إن من الذنوب ذنوبًا لا يكفرها الصلاة أو الصوم وإنما يكفرها سعى الإنسان على عمله ومعاشه ، وإلا فكيف يعيش ؟ وإذا تفرغ للعبادة فهذه رهبانية ، وليست من الإسلام .

وكان أحد المسلمين قد تفرغ للعبادة وسأل الرسول ﷺ عمن يسعى عليه ؟ أى يطعمه ويسقيه ويكسوه ، فقال الواقفون معه : كلنا يا رسول الله ، فقال : « **كلكم أعبد منه** » بمعنى أن السعى الشريف عبادة ، بل إذا تعارضت العبادة مع العمل قدّم العمل ، فمثلاً إذا كان الإنسان يعمل عملاً صعبًا كالمناجم والمحاجر والعمل فى مصانع الزجاج أمام النار بمجهود خارق لا يستطيع معه الصوم فهو مخير بين أمرين كلاهما صعب ، إما أن يستمر فى عمله ويفطر فى رمضان ؟ وإما أن يصوم ويمتنع عن العمل ؟ هنا يجيز الشرع له يستمر فى عمله ويفطر ، لأن حق العبد مقدم على حق الرب ، وعليه أن يقضى فى أيام أخر ، فإذا لم يتيسر القضاء لاستمرار ذلك طول العام نهارًا ، فله الفطر وعليه الفدية وهى إطعام مسكين عن كل يوم يفطره ، فإن عجز عن الإطعام فالله أولى بقبول العذر ، هل هناك رحمة أكثر من هذا ؟ هذا بالإضافة إلى أن الإنسان فى عمله يتذكر ربه تعالى ، فإذا فكر فى غش الناس فى البضاعة تذكر الموت وحساب الله له ، فيمتنع عن الغش ، وإذا فكر فى السرقة تذكر الموت وشدته وأن الله سيحاسبه على ذلك ، فيمتنع عن السرقة ، وكذلك الحال فى كل موبقة من الموبقات ، إذا حاول فعلها تذكر الموت وسكرته ، وعقاب الله له على ذلك ، فيمتنع

عن ذلك ، وهكذا لذا فإننا نذكر الناس بسكرات الموت وعذاب القبر حتى لا تسكرهم الحياة وبريقها ، وينسوا الخالق ، لذا يجب العمل للدنيا والآخرة ، ولا ننسى سكرات الموت التى سوف تصيب كل إنسان ، وشدة القبر وفتنته ، فالإسلام يريد أن يذكر السكارى بالحياة بسكرات الموت ليعملوا للآخرة مع الدنيا ليكون عملهم أدق وأصلح .

نداء إلى كل مسلم :

أخى المسلم : خلقك ربك فسواك ، ورزقك وكساك ، وأطعمك وسقاك ،ومع ذلك عصيت وما شكرت ، وأذنبت وما استغفرتِ ، كأنك ستخلد فى هذه الحياة الدنيا ، فمتى تتوب ؟ أتتوب عند هجوم هاذم اللذات ، ومفرق الجماعات ؟ أتتوبَ عند الممات ؟ باب التوبة مفتوح فارجع إلى ربك ، والله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ، ولا تجعل للشيطان عليك سبيلاً ، قال الشاعر :

يا معشر العاصين جود واسع ... عند الإله لمن يتوب ويندم
يا أيها العبد المسىء إلى متى ... تفنى زمانك فى عسى ولربما
بادر إلى مولاك يا من عمره ... قد ضاع فى عصيانه وتصرما
واسأله توفيقًا وعفوًا ثم قل ... يا رب بصِّرنى أزل عنى العمى

عجل يا أخى واعلم أن الله يحبك إذا رجعت إليه ، خذ العبرة من بلال بن رباح حين عذبه سيده أُمية بن خلف بعد أن أعلن إسلامه ووضعه على الجبل وفوقه صخرة فى شدة اللهيب ، ومع هذا لم يستجب لسيده ، وقال : أَحد أَحد : أى أن الله واحد لا شريك له ، واشتد عليه العذاب حتى أعتقه أبو بكر رضي الله عنه ، وذلك لأن مرارة العذاب امتزجت بحلاوة الإيمان ، فطغت الأخيرة على مرارة العذاب ، ولم يشعر بلال بالعذاب ، ورسول الله ﷺ الذى عذب عذابًا أليمًا وأدميت قدماه ، وصبر على كل ما اتهموه به ، وجاءته

الفرصة للقضاء على أعدائه الذين عذبوه ، ولكنه قال : « **اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون** » ولا تظن أخى المسلم أن طريق الجنة سهل وميسور ، بل « **حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات** » كما قال صلى الله عليه وسلم (متفق عليه) .

أخى المسلم : قال صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه : « **اغتنم خمسًا قبل خمس ، شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك** » (رواه الحاكم) .

أخى المسلم : لا تغتر بدار لابد فيها من الرحيل ، ولا تخرّب دارًا لك الخلود فيها ، فإذا تذكرت الآخرة وعملت لها فإن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

أخى المسلم : ماذا تتصور إذا مت على غير توبة ؟ إنها جهنم التى تهيم فى أوديتها ، وتأكل من طعامها ، وتتعذب بلهيب النار ليلاً ونهارًا ، فهل جسمك يتحمل هذا العذاب ؟ مساكين أهل الذنوب ، أطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن ، مساكين أهل الذنوب ، عظمت كربتهم ، وكبرت عيوبهم ، وكثرت ذنوبهم ، عصوا الجبار فى الليل والنهار ، وسودوا صحفهم بالخطايا والأوزار ، غفلوا عن الطاعة ، وخسروا أنفسهم قبل قيام الساعة ، فيا من أغرتك الدنيا الحقيرة التى لا تساوى عند الله جناح بعوضة فاشتريتها وبعت جنة عرضها السموات والأرض ، تصور نفسك واقفًا يوم الحساب على عملك فى الدنيا ثم تحصل على الكتاب الذى هو صحيفة أعمالك لترى فيه جزاءك ، هل تذكرته ؟ أيها الجبار ، تصور نفسك فى ظلمة القبر ممدودًا ، فكيف بك إذا جاورت أصحاب اللحود ؟ ماذا ستفعل إذا جاءك فيه الدود ، فأكل من جسمك ، ونهش من لحمك ، ونخر فى

عظمك ، هل تستطيع وكنت الجبار أن تمنع ذلك ؟ ثم ماذا ستفعل إذا سئلت فى قبرك وأنت لم تعمل حسابًا لهذا السؤال ؟ هل ستظن أن من كنت تسيطر عليهم فى الدنيا ، سيقفون معك ويدافعون عنك ، أو يجيبون بدلاً منك ؟ كلا لأنه لا وساطة ولا أعوان وإنما لا ينفع الإنسان إلا عمله ، فهل عملت لتنجو من شدة السؤال ؟

أخى : أقول لك ولكل مسلم ، فلنبك على أنفسنا قبل أن يُبكى علينا ، ولنحمل أنفسنا على الطاعة قبل أن نحمل على الأعناق ، لنتذكر ونحن نمر على من سكنوا القبور ، ستنزعج قلوب الخائفين ، وتحار أفهام العارفين ، وتبكى عيون العابدين ، وتذل أعناق المتجبرين .

أخى المسلم : ما حالك إذا جاءت هذه اللحظات ونزل بنا الأنين ، لا نملك إلا أن يعيننا الله جميعًا على هذا الخطب العظيم ، وأن يجعلنا من أهل الجنة .

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها   إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنها   وإن بناها بشر خاب بانيها

فلا تضيعوا أعماركم فى غير طاعة ربكم ، قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [1] وقال سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [2] .

وننادى بعض المسلمين الذين زال خوف الله من قلوبهم ، وهو سبحانه القائل ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [3] وأخذوا

---

(١) سورة البقرة : ٢٨١ .

(٢) سورة النحل : ٩٧ ، وانظر من هنا نبدأ وفى الجنة نلتقى للشيخ عبد المحسن بن عبد الرحمن ص ٣٧ وما بعدها .

(٣) سورة الرعد : ٢٨ .

يغتصبون ويستحلّون الحرام وينتهزون فرصة توليهم لبعض المناصب للانتقام من أعدائهم ، وكأنهم على كل شيء قديرون ، والله تعالى يقول ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (١) يتحدثون مع الناس بطريقة قد تكون حسنة لكنهم يظلمون الكثير ظلمًا بيّنا ، ومنهم من ينتقمون من البعض لمجرد أن أشكالهم لا تعجبهم ، والحديث الشريف يقول : « **إن اللّه لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أشكالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** » ويقول : « **رب أشعث أغبر لو أقسم على اللّه لأبرّه** » ، وما بالنا بمن يسعى لقطع أرزاق الناس ، أو على الأقل يعملون على تضييقها عليهم وكأنهم ظنوا أنهم الرازقون ، ونسوا قول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (٢) .

ومن الناس من يطلب الرحمة ممن لا تعرف قلوبهم معنى الرحمة ؛ لأن قلوبهم قطع من الليل مظلمة ، بل هى أشد قسوة من الحجارة ، ومنهم من يحتمى فى منصبه ، والمناصب زائلة ، فيضرون غيرهم دون سبب ، بل ويتكلمون فى وسائل الإعلام المختلفة عن الرحمة والتوبة ويستدلون بمثل قول الله تعالى ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ (٣) إلى آخر الآيات .

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٦ .

(٢) سورة الذاريات : ٥٨ .

(٣) سورة آل عمران : ١٣٣ ، ١٣٤ .

كيف ذلك وهم لم يكظموا غيظهم ؟ هذا إن كان هناك مجال لكظم الغيظ . وكيف ينتقمون وهم فى مناصبهم ويستغلونها أسوأ استغلال ؟

نقول لهؤلاء جميعًا : اقرأوا ما كتبناه عن سكرات الموت التى وقعت لرسول الله ﷺ إلى حد أنه كان يغمى عليه ، وكان يتألم لشدة وجعه الذى يساوى أو يفوق شدة الألم عند اثنين من أشد الناس وأقواهم ، فهل نسيتم هذا أيها المفترون ؟ هل نسيتم شدة العذاب التى تنتظركم يوم القيامة ؟ هل أجسامكم تتحمل هذا العذاب ؟ ألم تسمعوا بعذاب القبر وهو أول منازل الآخرة ؟ هل تظنون أن من كنتم تسيطرون عليهم فى الدنيا سيقفون معكم عند الحساب العظيم يوم القيامة ؟ يا من تظلمون الناس هل نسيتم الدود الذى يأكل أجسامكم فى القبور ؟ هل تعرفون أنه لا وساطة ولا أعوان يوم القيامة سوى عمل الإنسان الصالح ؟

توبوا إلى الله وأعيدوا الحقوق إلى أصحابها واطلبوا منهم السماح ولا تفتروا ، وأفيقوا من غفلتكم قبل أن يأتى العذاب الشديد ، وأوله سكرات الموت القاسية على كل إنسان ، وقد يعجل الله العقاب فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد .

خاتمة

إن سكرات الموت شديدة ، وحساب القبر عسير ، وفتنة القبر قاسية ، وإذا كان الرسول ﷺ عانى كثيرًا فى سكرات الموت حسب ما وضحناه ، فما بالنا نحن المسلمين الذين ننسى فى معظم الأحوال غمرات الموت بسبب زخرف الحياة الدنيا وزينتها ، وتحقق فى الكثير منها قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ . (الحشر : ١٩)

وعلى المسلم أن يرجع إلى الله ويتوب إليه قبل أن يأتى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، وإنما ينفع فيه عمل الإنسان نفسه ، فعلى المسلم أن يتيقظ ويعمل للآخرة ، ليحبه ربه ، ومحبة الله تتجلى فى الآتى :

١ - قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه .

٢ - التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض .

٣ - دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل .

٤ - محبة الله ورسوله أكثر من محبة الإنسان لنفسه وذويه .

٥ - مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومعرفتها .

٦ - مشاهدة بره سبحانه وإحسانه ونعمه الباطنة والظاهرة .

٧ - انكسار القلب بين يدى الله تعالى ، لأن العظمة لله وحده .

٨ - الخلوة فى الثلث الأخير من الليل - قدر المستطاع - لمناجاته والتأدب بأدب العبودية ، ثم الاستغفار والتوبة .

٩ - مجالسة الصادقين والصالحين .

١٠ - البعد عن كل ما يحول بين القلب وبين ربه عز وجل ، بمعنى أن يكون ذكر الله فى القلب دائمًا .

وفى الختام : لا أملك لك إلا الدعاء ، فاللهم اغفر لنا ولإخواننا المسلمين ، وأدخلنا الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم ثبت قلوبنا على دينك ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

* * *

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

١ - **تفسير القرآن العظيم** لابن كثير .

ثانيًا : الحديث وعلومه والسيرة النبوية .

٢ - **نيل الأوطار** للشوكانى .

٣ -**فتح البارى على البخارى** لابن حجر .

٤ - كتب الحديث المعتمدة لابن ماجه والترمذى ، والنسائى وأبو داود ومسلم : من هنا نبدأ وفى الجنة نلتقى للعلامة عبد المحسن بن عبد الرحمن .

٥ - **التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة** للقرطبى .

٦ - **السيرة النبوية** لابن هشام .

٧ - **حياة محمد** د/ محمد حسين هيكل .

كتب الفقه :

١٠ - **فقه السنة** : السيد سابق .

كتب اللغة :

١١ - **القاموس المحيط** : للفيروزابادى .

وغير ذلك من المصادر وذكرنا بعضها أثناء الكتابة .

فهرس الكتاب

الموضـوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٧٥١٢/ ٢٠٠٠

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ــ ١١٢٣١

دار الاعتصام
للطبع والنشر والتوزيع
٨ شارع حسين حجازى ـ القاهرة
هاتف : ٧٩٥١٧٤٨ - ٧٩٤٤٧٤٨ - فاكس : ٧٩٤٦٠٣١
ص . ب : ٤٧٠ القاهرة - الرمز البريدى : ١١٥١١

